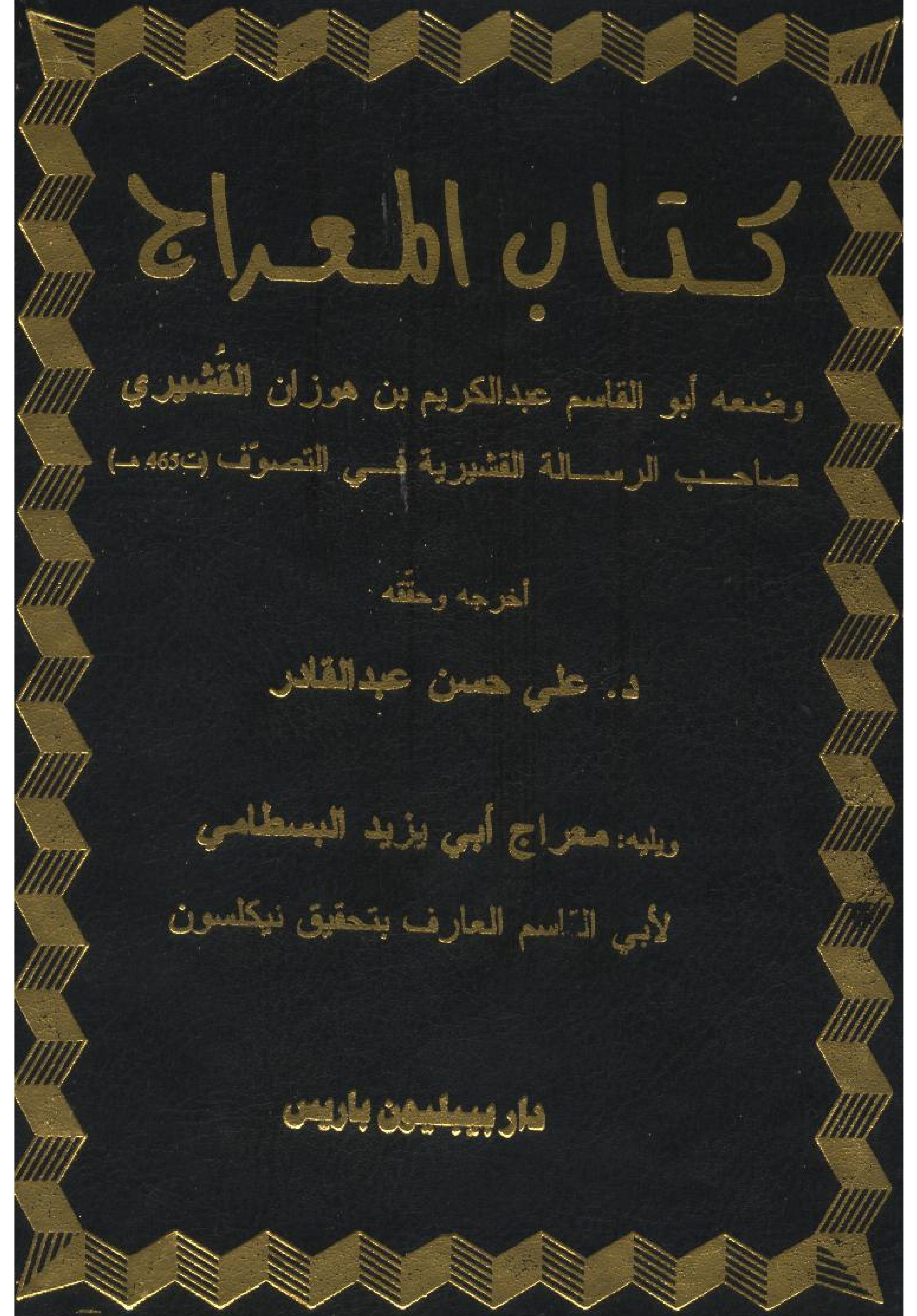

كتاب المعراج
وضعه أبو القاسم عبدالكريم بن هوزان القُشيري
صاحب الرسالة القشيرية في التصوّف (ت 465 هـ)
أخرجه وحقّقه
د. علي حسن عبدالقادر
ويليه: معراج أبي يزيد البسطامي
لأبي القاسم العارف بتحقيق نيكلسون
دار بيبليون باريس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ،
وعلى آله وصحبه وسلم

مقدمة

ليس غرضنا من نشر هذه الآداب الصوفية ، البحث المستفيض والتعمق فى الدرس ، وإنما قصدنا بذلك أن نعرض مادة جديدة فى الموضوعات التى يدور حولها القول فى التصوف الإسلامى ، ونوجّه فى أثناء ذلك الأنظار إلى أهمية هذه الموضوعات ووجهات النظر فيها توجيهاً عاما .

وأهم من هذا فيما نقصد : هو إحياء التراث الإسلامى المجيد ، الذى بعث بمادته الفنية وأصالته ، الروح العالية فى نفوس الأدباء والشعراء والحكماء ، الذين استلهموا منه مادة أدبهم وفنهم وفيض صدورهم ، وكان من آثاره ما وصل إلينا من أدب رفيع خالد ، وفنّ وحكمة شرقية .

وإنه مما يؤسف له حقاً : أن أغمض أصحاب هذه الكنوز الثمينة عيونهم عنها ، وحقّروا من شأنها ، وتناولوها فى مادة جافة ، أضاعت قيمتها

المعنوية ، وفات عليهم بذلك رواجها الروحى وأثرها فيما تبعثه من إلهـام ، وما يطوف بها من جمال وجلال .

والتصوف الإسلامى هو أحـــد هذه المنابع التى أفاضت بالحـكمة ، والخيال ، والتصوير ، وألهمت الأدباء والشعراء والفلاسفة فى صدر النهضة الإسلامية وفتحت لهم آفاقاً واسعة من التحليق فى الخيـال ، ورققت من شعورهم ، فأضافوا إلى التراث الإسـلامى آداباً إنسانية خالدة ، وفلسفة ، وفنوناً رائعة .

ومن أمثلته ذكر « قصة المعراج » التى ننشر لأول مرة فيها هذه الرسالة القيمة للإمام الصوفى : أبى القاسم القشيرى ، صاحب « الرسـالة » ، فقد ردّد صداها فى الشرق والغرب أهل النفوس الحيـة ، والقلوب الصافية ، وكانت أنموذجا ومعيناً فياضـاً ، لفنون وآداب مذكورة ، كما سنحيط ببعضه فى هذه المقدمة .

* * *

المعـــراج

— ١ —

وقد جاء ذكر المعراج موجزاً فى القرآن الكريم ، حيث يقص الله تعالى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم للملك الكريم ؛ فيقول تعالى : (والنجم إذا هوَى ، ما ضلَّ صاحبكم وما غوَى ، وما ينطقُ عن الهوى ، إنْ هوَ إلاَّ وَحْىٌ يُوحَى ، علَّمهُ شديدُ القُوَى ، ذو مِرَّةٍ فاستَوَى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دَنَا فتدَلَّى ، فكان قابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى ، فأوحَى إلى عبده ما أوحَى ، ما كَذَبَ الفؤادُ ما رَأَى ، أفتُمَارُونَهُ على ما يَرَى) ؟ !

ويقول الله تعالى فى سورة التكوير : (إنه لقولُ رَسولٍ كريمٍ ، ذى قوةٍ عند ذى العرش مكين ، مطاعٍ ثَمَّ أمين ، وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالأفق المبين ، وما هو على الغيب بِضَنِينٍ ، وما هو بقولِ شيطانٍ رجيم) .

كما يسجل القرآن لقاء الرسول له مرة أخرى ، حيث يقول تعالى : (ولقد رآهُ نَزْلَةً أخرى ، عند سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، عندها جنةُ المأوَى ، إذ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يغشى ، ما زاغَ البصرُ وما طَغَى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

كما جاء ذكر الإسراء من مكة إلى بيت المقدس موجزاً كذلك فى القرآن الكريم ، حيث يقول تعالى : (سبحان الذى أسْرَى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرام إلى المسجدِ الأقصى الذى باركنا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ من آياتنا إنَّهُ هو السميعُ البصيرُ) .

وقد وردت بعد ذلك الأحاديث والروايات مفصِّلة تفصيلا واسعاً هذه المرحلة ، وما حدث فيها من العجائب التى رآها الرسول فى هذه الليلة ، ومن الواضح أن تطور هذه القصة من بساطتها الأولى الموجزة فى القرآن إلى هذا التفصيل الواسع والقصص المفصل ، يرجع إلى هذه الشروح والتفاسير التى تناولت هذه القصة ، وإلى تلك التأويلات التى أُوِّلت ، ومحاولة الجمع بين الروايات المختلفة وتوحيدها فى وحدة متسقة ، وقد لعب الخيال دوره وأضاف إليها ثروة غنية من الحوادث والوقائع والتمثيلات التى قد تضيق بها هذه الرحلة ، فضلا عما زُجَّ به فيها من إشراقية وزرادشتية وأفلاطونية حديثة ، وفوق هذا كله هذه الصياغة الفنية ، والمجازات والاستعارات التى صيغت بها هذه القصة ، وما أضفته عليها من فنٍ وتصوير وتشبيه رائع . وكل هذا من أجل إرضاء العامة بقصة كاملة ، لإشباع فضولهم من الناحية الفنية أكثر من الناحية الدينية .

ولا نحاول فى هذا البيان أن نتتبع تطور هذه القصة فى رواياتها المختلفة ، أو نحقق عناصرها ومادتها ، ولكنا نكتفى بفرض أن هذه الروايات

المختلفة فى وقائعها قد اتخذت لها فى وقت مبكر شكلاً محدداً استقرت عنده ، و بقيت بعد ذلك للأجيال التالية فى هذا الوضع المستقر . وكان هذا على التحديد فى القرن الثالث الهجرى ، كما نرى ذلك عنـد الإمام الطبرى فى تفسيره ، والتى جمع فيها الروايات المختلفة، وما جاء بعد ذلك لا يعدو أن يكون شرحا عليها ، أو تفسيراً رمزياً ، أو جمعاً لبعض الروايات المضطربة [1] .

وقد اختلف المحدثون فى مسائل تتعلق بهذه الرحـلة ، فهل كان ذلك بجسده عليه السلام أم بروحه ؟ (تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٥ ، ١٢) كما اختلفوا فى تحديد المـكان الذى بدأت منـه هذه الرحلة ، وهل هو بيت أم هانىء (طبرى) أو من الـكعبة (البخارى ومسلم) أو من الحِجْر والحطيم (البخارى والطبرى) ؟ كما جاء عن أبى هريرة : أنه بلا مكان (تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٦) .

واختلفوا كذلك فى وقت المعراج : وهل كان قبل الوحى أو بعـد الوحى ؟ وقد علّق البغـوى فى تفسـيره على هذا فقال : « قال شيخنا الإمام : قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن إسماعيل البخارى ولمسلم فى كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا » وأحال الآفة فيه إلى شريك بن عبد الله ، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه .

---

(١) راجع فى أحاديث المعراج ملحق رقم ١ .

واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحى بنحو من اثنى عشرة سنة قبل الهجرة بسنة ، وفيه أيضاً : أن الجبار دنا فتدلى . وذكرت عائشة أن الذى دنا فتدلى جبريل عليه السلام ؛ قال شيخنا : « وهذا الاعتراض عندى لا يصح ، لأن هذا كان رؤيا فى النوم أراه الله قبل الوحى ، بدليل آخر الحديث ، قال : « فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام » ، ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى قبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه من قبل ، كما أنه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ، ثم كان تحقيقه سنة ثمان ، ونزل قوله تعالى : (لقد صَدَقَ اللهُ رسولَهُ الرؤيا بالحقِّ) وقد ناقش العلماء مسألة رؤية الله وما رآه الرسول فى الملكوت الأعلى ، وخلصوا من ذلك كله بقصة كاملة محكمة الأطراف تجمع بين الإسراء والمعراج ، وأضافوا إليها كذلك قصة شق صدره عليه السلام ، وفسروا القرآن الكريم فى ذلك تفسيراً لفظياً فى قوله تعالى: (ألم نَشْرَح لكَ صَدْرَكَ ، ووضعنا عنك وِزْرَكَ الذى أَنقَضَ ظهركَ ، ورفعنا لكَ ذِكْرَكَ) .

— ٢ —

ومهما يكن من شىء فقد تقبل الناس هذه القصة الفنية الرائعة ، ووجدت حماساً من العلماء والأدباء فى درسها ، وكانت مجالاً لإشباع نهمهم العلمى والفنى أكثر من كل شىء ، وكانت معيناً استلهموا منه فيض صدورهم ،

ومادة أدبهم ، مما كان له أثره فيما وصل إلينـــا من فنٍ وأدبٍ رفيع خالد .

فمن أهم ما وصلنا من ذلك « رسالة الغفران » للفيلسوف الشاعر أبى العلاء المعرى فى القرن الرابع والخامس الهجرى الذى عرف بأنه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ؛ وهى رسالة كتبت فى نثر فنى رائع ، قلّد فيها الرحلة الليلية للرسول (المعراج) وعرض فيها بالنقد واللوم على الأخلاقيين وقسوتهم ، ومنافاة ذلك للرحمة الإلهية ، وعارض فيها ضد تعذيب كثير من الأدباء والشعراء على الأخص ، الذين وإن كانوا عصاة ملحدين كُفارا ، ولـكنهم كانوا معروفين فى الأدب الإسلامى القديم ، وفى الأدب الجاهلى ، وهذه الرسالة جواب على رسالة صديقه ابن القارح التى أعجب فيها بأبى العلاء ، وقدح فيها هؤلاء الشعراء والأدباء الذين عاشوا فى الـكفر والفجور ، ومن غير أن يتناول مسألة الرحمة بالنسبة لهم ، فقد حاول أن يرى أن كثيراً من هؤلاء المتحررين والشعراء قد ندموا آخر الأمر وعفى الله عنهم ودخلوا الجنة ، وقد جرى فى نقده وبيان ذلك كله فى رحلة على غرار المعراج ، قص فيها لقـاءه لهؤلاء الشعراء وحـديثه عنهم ، فى نثر فنى بديع .

ويمضى فى هذا القصص الأدبى متتبعاً خطوات المعراج متنقلا من

مكان إلى مكان ، محدثا للعلماء والأدباء فى أسلوب نقدى ، ونثر فنى ، وأدب واسع غزير .

ولم يقف أثر قصة المعراج فى الشرق وحده ، ولكن أهم من هذا هو تأثيرها فى الآداب المسيحية فى القرون الوسطى ، ونعنى بذلك تأثيرها فى دانتى الألجيرى فى « الكوميديا الإلهية » وقد كان أول من كشف عن هذا هو الأستاذ المستشرق آسين باسيليوس فى كتابه عن المعراج والكوميديا الإلهية ، وهو كشف على جانب كبير من الأهمية ، نال به هذا الأستاذ المستشرق شهرة واسعة ، وقد بذل هذا العالم زهاء خمسة وعشرين عاما فى بحث الأفكار الفلسفية والدينية للإسلام فى الشرق وفى أسبانيا ، وأثرها فى الثقافة المسيحية الغربية ، ووصل إلى نتائج مهمة فى أثر ثيولوجية ابن رشد ، فى سان أكوينتس ، وابن عربى المرسى فى ريموندلال ، وإخوان الصفا فى فرانس أنسلمو ، وغير ذلك من أبحاث مستفيضة توجها بهذا الكشف العامى فى قصة المعراج ، وكيف كانت الأنموذج الذى وضع على مثاله دانتى الكوميديا الإلهية المشهورة . وقد كان طبعا من الصعوبة على أتباع دانتى والمعجبين به أن يتصوروا أن هذه القصة الإسلامية كانت المصدر والأنموذج لدانتى فى كتابه الفنى العظيم الذى يعتبر الشعر الرمزى للثقافة المسيحية فى القرون الوسطى ، ولكن آسين أتى بالحجج العلمية التى حجّ بها خصومه ، والتى كانت فى صفّه إلى النهاية ، وأصبحت نظرية مقبولة بالإجماع ، سواء ضد العلماء الرومانيين أو غيرهم من المستشرقين .

وقد أيد آسين فى نظريته اكتشاف الباحثين أخيرا نصّ الترجمة اللاتينية والفرنسية للأصل العربى الإسلامى الخاص « بقصة المعراج » ، وقد ثبت أن كلتا الترجمتين كانتا معروفتين فى إيطاليا فى القرن الرابع عشر ، وقد عملت هذه الترجمة فى قصر الملك ألفونسو فى إشبيلية حوالى عام ١٢٦٤ ، قام الطبيب إبراهيم الفقين بترجمة قصة المعراج إلى لغة قشتالة ، وقد فقدت هذه الترجمة ، وتولى ترجمة النص الأسبانى إلى اللغة اللاتينية والفرنسية العالم الإيطالى بونا فنتبورا (١٢٢١ — ١٢٧٤) ووجدت نسخ من هذه الترجمة فى أكسفورد وباريس والفاتيكان ، وقد نشرت هذه النصوص قبل ميلاد دانتى ، وبهذا أصبح مؤكدا لدى العلماء أن دانتى قد اقتبس فكرة كتابه من « المعراج » وتأثر به فى نفسه وفى نظمه ، واستقى إلهامه من هذه القصة .

— ٣ —

وقد تأثر تراث الإسلام الروحى بهذه القصة تأثيراً بليغاً ، ونعنى بهذا التصوف الإسلامى الذى ألهم كثيراً من أهل الشعر والفلسفة والأدب ، وأضاف للإسلام كنوزاً ثمينة وآداباً إنسانية خالدة ، وحكمة شرقية ، وفنّا رائعا ، فلا نغفل مثلا الأدب الفارسى الذى تقوم عراقته وأصالته على أساس التصوف الإسلامى ، حيث يجمع بين فنون الدين والفلسفة ، ويفيض بآداب رفيعة .

وهؤلاء الأدباء والفلاسفة أمثال : جوته وهيجل وأمرسن قد تأثروا فما كتبوا وألهموا به بهذه الآداب الصوفية ، مثل أدب حافظ الشيرازى ، والمثنوى لجلال الدين الرومى ، ورباعيات عمر الخيام ، ومنطق الطير لسنائى، وشعر ابن الفارض ، ومعراج أبى يزيد البسطامى ، وابن عربى .

والذى يهمنا الآن هو التنويه بتأثير المعراج فى هؤلاء المتصوفة الذين حلّقوا بهذه القصة فى العوالم ، وطافوا بخيالهم فى الآفاق ، واستلهموا من روحها فيضاً وحكمة ، نذكر منهم : أبا يزيد البسطامى ، ومعراجه الذى نسج فيه على منوال المعراج النبوى ، وجعله أنموذجاً لحاله ومقامه وقصده إلى الله فى رؤيا منامية بديعة[1] .

وفى هذا المعراج يصور لنا أبو يزيد معالم الطريق إلى الله ، من مقام إلى مقام ، وصدق الإرادة فى القصد إليه ، والتجرد مما سواه ، متخذاً قصة المعراج رمزاً لطريق الصوفية فى الوصول إلى الله ، ومقام الشهود .

ومن هذا القبيل الذى اتخذ فيه المتصوفة قصة المعراج مثالا للتعبير عن فلسفتهم وطريقهم فى العروج بالنفس حتى تصل إلى المقام الأعلى « معراج محيي الدين بن عربى » الذى حاول معتمداً على المعراج أن يكشف خبايا النفس فى كتابه « الإسرا إلى المقام الأسمى » حيث شرح ذلك فيقول : « وأما الأولياء فلهم إسراآت روحانية برزخية يشاهدون فيها معان متجسدة

---

(١) راجع معراج أبى يزيد البسطامى ملحق رقم ٢ .

فى صورة محسوسة للخيال يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعانى ، ولهم الإسراء فى الأرض والهواء ، غير أنهم ليس لهم قدم محسوسة فى السماء . وبهذا زاد على الجماعة رسول الله بإسراء الجسم ، واختراق السموات والأفلاك حساً ، وقطع مسافات حقيقية محسوسة ، وذلك كله لورثته معنى لاحِسًّا ، فمعارج الأولياء معارج أرواح ، ورؤية قلوب ، وصور برزخيات ، ومعان متجسدات :

لله در عصابة سارت بهم نجب الفناء لحضرة الرحمن

وهناك معارج أخرى للصوفية : نذكر منها معراج سنائى فى كتابه « سير العباد إلى المعاد » ويعتبر سنائى أب الشعر الدينى الفاسفى فى الأدب الفارسى فى كتابه « حديقة الحقائق » وكان يسمى « حكيم غزنة » وقد نشر المستشرق نيكلسون مقتطفات من هذ المعراج الذى وصفه بأنه قطعة فنية فريدة فى الخيال ، وقد شرح سنائى فى معراجه : رجوع النفس من عالمها المظلم الذى سقطت فيه إلى أصلها الإلهى ، ومقرها الأخير ، وقد كان سنائى سابقا لدانتى الأجيرى ، وبعد مقارنات بينهما أكد نيكلسون أن مما لاشك فيه أن دانتى قد استقى معارفه بطريقة ما وعن طريق ما ، من المعارف الإسلامية والقصص الإسلامية .

ترجمـــة القشيرى

ولد عبد الكريم بن هَوَازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد : أبو القاسم القُشَيرى النيسَابورى سنة ست وسبعين وثلثمائة ، فى شهر ربيع الأول (يوليه ٩٨٦ م) ، وكان من أبناء العرب الذين وردوا إلى خراسان وسكنوا النواحى ، وخاله أبو عقيل السلمى ، من وجوه دهاقين ناحية استوا ، فهو قشيرى الأب[١] سلمى الأم .

وقد توفى أبوه وهو صغير ، فنشأ يتيما فقيراً ، واشتغل بالأدب والعربية فى أول الأمر وعالج الفروسية . ثم رحل فى شبابه إلى نيسابور لتعلم الحساب، ليدير قرية له باسْتُوا ، فاتفق له حضور مجلس الشيخ أبى على بن الحسين ابن على النيسابورى ، المعروف بالدّقاق ، فاستحسن كلامه ، وسلك طريق الإرادة ؛ وأشار عليه الشيخ بتعلم العلم ، فخرج إلى درس الإمام أبى بكر محمد بن بكر الطوسى ، وشرع فى الفقه حتى فرغ منه ، ثم اختلف بإشارته أيضاً إلى الأستاذ الإمام أبى بكر بن فورك ، وقرأ عليه أصول الفقه ، وبعد وفاته اختلف إلى الأستاذ أبى إسحق الإسفرايينى ، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك ، وفى أثناء ذلك كان يحضر مجلس الأستاذ أبى على الدقاق ، إلى أن اختاره لكريمته وتزوجها ، وبعد وفاة أبى علىّ عاشر

---

(١) قشير نسبة إلى قشير بن كعب ، قبيلة .

أباعبدالرحمن السلمى ، وسلك مسلك المجاهدة والتجريد ، وأخذ فى التصنيف؛ فكان فى الأصول على مذهب الأشعرى ، وفى الفروع على مذهب الشافعى ، وفسّر وحدّث حتى سمى « المفسر المحدث الفقيه الشافعى ، المتكلم الأصولى ، الأديب النحوى ، الكاتب الشاعر الصوفى » فجمع بين علوم الشريعة والحقيقة ، والأدب ، وخرج فى رفقة إلى الحج فيها الإمام أبو محمد الجوينى ، وأحمد بن الحسين البيهقى ، ورتب المجالس فى التذكير والقعود مع المريدين ، وعقد مجلس الإملاء فى الحديث سنة ٤٣٧ فكان يملى الحديث وربما تكلم فى الحديث بإشارته ولطائفه .

وله فى الكتابة طريقة أنيقة رشيقة ، وقد ترجم له أبو الحسن الباخَرْزى فى « دمية القصر وعصرة أهل العصر » فقال : « جامع لأنواع المحاسن ، تُقَادُ لَه صعابها ذلل المراسن ، فلو قرع الصخر بصوت تحذيره لذاب ، ولو ارتبط إبليس فى مجلس تذكيره لتاب . وله فصل الخطاب فى فصل المنطق المستطاب ، ماهر فى التكلم على مذهب الأشعرى ، خارج فى إحاطته بالعلوم عن الحد البشرى . كلماته للمستفيدين فوائد وفرائد ، وأعقاب منبره للعارفين وسائد . ثم إذا عقد بين مشايخ الصوفية حبوته ، ورأوا قربته من الحق وحظوته ، تضاءلوا بين يديه ، وتلاشوا بالإفاضة إليه ، وطواهم بساطه فى حواشيه ، وانقسموا بين النظر والتفكر فيه . وله شعر يتوج به رؤوس معاليه ، إذا ختمت به أذناب أماليه ، فما أنشد . . . . »[1]

---

(١) دمية القصر ص ١٩٤ — ١٩٥ .

وينتسب فى التصوف إلى أبى القاسم النصراباذى ، والنصراباذى عن الشبلى ، عن الجنيد ، عن السرىّ السقطى ، عن معروف الكرخى ، عن داود الطائى ، وداود لقى التابعين ، هكذا كان يذكر إسناد طريقته .

محنته :

وقد جرى له مع الحنابلة خصام بسبب انتصاره للأشاعرة ، يقول أبو الفرج بن الجوزى فى حوادث سنة ٤٤٥ هـ : « وفيها أعلن بنيسابور لعن الإمام الأشعرى ، فضجّ من ذلك أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، وعمل رسالة سماها « شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة » قال فيها : أيُلعن إمام الدين ومحيي السنة ؟ وكان قد رفع إلى السلطان طغرلبك من مقالات الأشعرى شيء ، فقال أصحاب الأشعرى : هذا محال ، وليس بمذهب له ، فقال السلطان : إنما يوغر بلعن الأشعرى الذى قال هذه المقالات ، فإن لم يدينوا بها ، ولم يقل الأشعرى شيئاً منها فلا عليكم مما يقول ، قال : فأخذنا فى الاستعطاف ، فلم يسمع لنا حجة ، ولم يقض لنا حاجة ، فأغضينا على قذى الاحتمال ، وأحلنا على بعض العلماء ، فحضرنا فظننا أنه يصلح الحال ، فقال : الأشعرى عندى مبتدع يزيد على المعتزلة ، قال القشيرى : يا معشر المسلمين ، الغياثَ الغياثَ . قال أبو الفرج : لو أن القشيرى لم يعمل فى هذا رسالة كان أستر للحال ،

لأنه إنما ذكر فيها وقع اللعن ، وإنه سأل السلطان أن يتقدم بترك ذلك فلم يجب ، ثم لم يذكر حجة له ، ولا دفع شبهة للخصم ، وذكر مثل ذلك نوع تغفيل »[١] .

وقد اضطرت القشيرى هذه الحال إلى مغادرة وطنه ، فذهب إلى بغداد ، وورد على أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، ولقى فيها قبولا ، وعُقد له فيها مجالس فى المنازلة ، ثم عاد إلى نيسابور ، وكان يختلف منها إلى طوس ، حين جاءت دولة ألب أرسلان فى سنة ٤٥٥ هـ . وبقى بعد ذلك عشر سنين مكرّماً حتى توفى فى سنة ٤٦٥ هـ ، ودفن بالمدرسة بجانب شيخه أبى على الدقاق[٢] .

* * *

---

(١) المنتظم ج ٨ ص ١٥٧ . وقد شرح السبكى فى « طبقات الشافعية » حال الفتنة بتفصيل ، كما أتى بنص كامل لهذه الرسالة ، الطبقات ج ٢ ص ٢٦٠ وما يليها ، وج ٣ ص ٢٤٣ — ٢٤٨ . راجع أيضا « تبيين كذب المفترى » لابن عساكر ص ٢٧٦ وما يليها .

(٢) راجع فى ترجمة القشيرى : مرآة الجنان لليافعى ج ٣ ص ٩١ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣١٩ — ٣٢٢ ، وطبقات الشافعية للسبكى ج ٣ ص ٢٤٣ — ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، وكشف المحجوب للهجويرى ص ١٦٧ ، والأنساب للسمعانى ص ٤٥٣ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٤٣٨ ، ودمية القصر للباخرزى ص ١٩٤ — ١٩٦ .

كتب القشيرى :

١ — [الرسالة]

طبعت عدة مرات .

٢ — [لطائف الإشارات بتفسير القرآن]

مخطوطات : منها فى ليدن واستانبول ودمشق والهند .

٣ — [التيسير فى علم التفسير]

وهى من مجالسه ، أملاها على ولده ، منها : مخطوط فى ليدن والهند .

٤ — [ترتيب السلوك]

منها : مخطوطة فى الفاتيكان .

٥ — [شرح الأسماء الحسنى]

منها : مخطوطات فى تونس وفاس ودمشق والموصل

٦ — [الأربعين حديثاً]

مخطوط فى ليدن .

٧ — [التمييز فى علم التذكير]

مخطوطات : منها فى القاهرة وفارس والقيروان وحامد باستانبول .

٨ — [القصيدة الصوفية] وهى المسماة [بمنثور الخطاب فى مشهور الأبواب]

مخطوطة بالجزائر .

٩ — [التوحيد النبوى]

مخطوطة بالقاهرة .

١٠ — [اللمع]

مخطوطة بالقاهرة .

١١ — [حياة الأرواح ، والدليل على طريق الصلاح والفلاح]

مخطوطة بالأسكوريال .

١٢ — [المعراج]

مخطوطة فى بانكيبور .

١٣ — [الفصول]

مخطوطة بالقاهرة .

١٤ — [شكاية أهل السنة]

أوردها السبكى فى طبقات الشافعية .

١٥ — [فتوى]

أوردها السبكى فى الطبقات .

١٦ — [استفادات المرادات]

مخطوطة باستانبول .

* * *

ومن كتبه المفقودة :

١٧ — كتاب الجواهر

١٨ — عيون الأجوبة ، فى أصول الأسئلة

١٩ — كتاب المناجاة

٢٠ — كتاب نكت أهل النهى

٢١ — كتاب نحو القلوب الكبير

٢٢ — كتاب أحكام السماع

٢٣ — آداب الصوفية

* * *

مخطوطة المعراج :

وأصل هذه المخطوطة محفوظ بمكتبة بانكيبور بالهند ، ولها صورة فوتوغرافية بمكتبة المكتب الهندى بلندن India offuce .

وقد تكرم صديق العالم الكبير الأستاذ الدكتور آربرى أستاذ الأدب العربى بجامعة كمبردج ، فنقل هذه المخطوطة بيده ، وتفضل مشكوراً وسلمها إلىّ لنشرها .

وقد قمت بتحقيقها والتعريف بها فى هـــذا الكتاب وملاحقه .

واستعنت فى تخريج الأحاديث وتحقيق الرسالة بصديق الأستاذ العالم المحقق فضيلة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بجامعة الأزهر .

فلا يسعنى إلا أن أعترف بالفضل لهذين العالمين الفاضلين على إخراج هذه الرسالة الجليلة فى هـــذا الثوب ، والشكر لهما على هذه المعاونة المذكورة .

والله الموفق ؟

٤ رجب سنة ١٣٨٤ هـ
٨ نوفبر سنة ١٩٦٤ م

على حسن عبد القادر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مؤيّد الدين وناصره ، وموضح الحقّ ببصائره ؛ ومرسل الأنبياء بأحكامه ، وهادى من اتّبعهم بزواهر أعلامه ، ومخصّص المصطفى النبيّ المجتبى ، محمّد سيّد الورى ، بزوائد من إكرامه. ولطائف من إنعامه، لما تقاصرت رتبة العامّة عن بلوغ مقامه ، صلوات الله عليه وعلى آله وعلى متّبعيه الذين درجوا على مثاله ؛ فمّما خصّه به من إفضاله ، وأفرده بذلك من بين أضرابه وأشكاله . وإن كان فقيد الشكل فى جميع خصاله ؛ المعراجُ الذى لم يُدرك أحد فيه شأوه ، ولم يك مُرْسَلٌ قبله أهلَه .

وقد اختلف الناس فى ذلك على مذاهبهم : فمنهم من أنـكر ذلك أصلاً ، وادّعى استحالته عقلاً : ومنهم من حمله على رؤيا تقتضى تأويلاً ، ولم ير لـكونه فى اليقظة تحصيلاً ؛ ومنهم من أطلق لسان المناكير ، فروى فيه مالم يصحّحه إسناد ، ولا يوجد عليه اعتماد ؛ أطاع خواطر النفس فتقوّل على الدين ، وقطع بمجوّزات التخمين ، وكواذب الظنون ، فأبرزها فى معرض القطع واليقين ؛ ومنهم من ثبّت الله على الحقّ قلبه وكشف عن وجه تحقيقه فوقف حيث ما وقفه صحاح النقل ، وقضى فيه بما أوجبته دلائل العقل ؛ ونحن نرغب إلى الله سبحانه فى التوفيق لإملاء فصول [من ذلك][1]

---

(١) بياض بالأصل .

مشتملة على ذكر ما يصحّ من معانيه ؛ فنذكر ما وردت به الرواية ، ممّا عُدّ في صحاح [الكتب[1]] ؛ نُعقبه بما لم يتسلّط عنه . . .[1] هذا لرد [ما][1] يجحده أهل التعديل والجرح ، مصدّقاً [بجمل][1] ممّا يتعلّق بالأصول ، كاشفاً عن شُبَه من جحده من أهل التمويه ، ذاكراً بمصداقه [جملة][1] من أقاويل أهل التفسير والتأويل واللطائف مفصّحاً عمّا يسمح به الخاطر من ذكر بعض نكته على وجه الإيجاز ، ونتبرأ من الحول والقوّة فيما نرجو من الله من التيسير والتسهيل . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فصــــل

المعراج في اللغة : السُلّم . وجمعه معاريج ، ومعارج ، كمفاتيح ومفاتح ، وقيل : واحد المعارج مِعرَج ، مثل مِرْقاة . فيقال على هذا معراج ، وجمعه معاريج كمفتاح وجمعه مفاتيح ، ومَعْرَج وجمعه معارج كمفتح وجمعه مفاتح ، والمعارج : المصاعد . وقوله تعالى : « مِنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ »[2] قيل : أراد به معارج الملائكة ، وقيل ذى الفواضل العالية ، ويقال : عَرَجَ فى السُلّم — بفتح الراء — يعْرُج — بضمّها — إذا ارتقى ، وعرج يعْرُجُ أيضاً : إذا غمز من شيء أصابه ، فإذا هو أعرج ، يقال: عَرِجَ — بكسر

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) سورة ٧٠ : ٣

الراء — يَعْرَجُ — بفتحها ، فإذا قيل كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم معراج فمعناه : أنه عرج فى السماء ، والاشتقاق ما ذكرنا .

فصـــل

والذين أنكروا المعراج وأحالوه من جهة العقل هم الملاحدة والطبائعيون الذين قالوا إنّ حول الهواء المحيط بنا ناراً محيطةً[1] بالهواء المحيط بكرة الأرض وإنّ الأرض نهاية السفل ، وهذه الأجسام الكثيفة تهوى بطبعها إلى أن تستقرّ على الأرض التى هى المركز . وهذا القول باطل لقيام الدلالة على حدوث العالم ، ووجوب وجود مُحْدِثه ، بوصف الجلال واستحقاق نعوت العظمة ، باستحالة النقص وفساد القول بالطبع ، وإنكارهم المعراج كإنكارهم جواز بقاء أهل النار وهم أحياء فى النار . وفساد أقاويلهم مذكور فى مسائل الأصول ، لوجوب القول بقدرة الصانع تعالى عمّا يتوهّم حدوثه . وأمّا الذين أنكروا أن يكون معراجه عليه السلام بالجسد : فهو قول أكثر الروافض والمعتزلة ، فمنهم من قال : إنّ المعراج كان رؤياً رآها النبيّ صلى الله عليه وسلم فى منامه ، ثم ذكر لأصحابه فى اليقظة ما كان قد رآه فى النوم ، وأنّه لم يغب بجسده عن مكّة ، وقالوا : إنه عرج بروحه دون جسده ، وعندهم الإنسان هو الروح . وقال قوم من المعتزلة : إنّه أُسرى به إلى بيت المقدّس ، على

---

(١) فى الأصل « نار » .

ما فى ظاهر الكتاب وأنكروا ما وراء ذلك . وأمّا أهل الحقّ ، فهم مجمعون على أنّ النبيّ صلى الله عايه وسلم أُسرى به ليلة المعراج ، وأنّه ذهب ببدنه ، وعرج فى السماء بنفسه : خرج فى شطر ليلٍ من مكة إلى المسجد الأقصى بالبيت المقدّس ، ثم صعد إلى السماء حتّى بلغ سدرة المنتهى ، ثم كما قال تعالى : « وكانَ قابَ قوْسَيْنِ أوْ أدْنَى »(١) وأنّه رأى بعينه الجنّة والنار ، وغير ذلك على ما يجيء تفصيل ذكره .

ولا يبعد أن يقال : كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم تلك الليلة معارج بجسده ثم فى غير تلك الليلة كانت له معارج فى النوم ، فإنّ فى بعض ألفاظ الأخبار الواردة فى المعراج ما يدل على كونه فى النوم : مثل لفظة « الانتباه » وغيره .

وأمّا تاريخ المعراج : فى رواية السُدّى : أنّه كان قبل مهاجره إلى المدينة بستّة عشر شهراً ، وفى رواية موسى بن عقبة : أنّه كان قبل خروجه إلى المدينة بسنةٍ ، وفى كثير من الروايات مما ذُكر فى الصحيح : أنّه كان قبل أن أُوحى إليه . وسيَجِيء بيان هذا عند تفصيل ذكرنا الأخبار المرويّة فى هذا الباب إن شاء الله .

* * *

(١) سورة ٥٣ : ٩

باب

ذكر الأخبار الواردة فى المعراج

مدار الروايات الصحيحة فى باب المعراج على أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ، وقد روى غيره من الصحابة أيضاً خبر المعراج ، لكنه أكثرهم له شرحاً وأبسطهم فيه قولاً . وقد سمع أنس بعض أحاديث المعراج من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسمع البعض من أبى ذر الغفارى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والبعض من مالك بن صعصعة الأنصارى مسنداً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والبعض عن أبى هريرة الدوسى مسنداً[1] ،

---

(١) ذكر السيوطى فى « الآية الكبرى » : أن أتقن روايات الإسراء والمعراج وأجودها حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، وأنه سلم من التعارض الذى لم يسلم منه غيره .

وذكر أن خبر الإسراء والمعراج ورد مطولا ومختصراً عن أكثر من ثلاثين راويا من الصحابة . وسرد هذه الروايات فى كتابه « الخصائص الكبرى » وأوصلها الزرقانى فى « شرح المواهب اللدنية » إلى خمسة وأربعين من الصحابة .

وحديث أنس : أخرجه مسلم من طريق ثابت ، وأخرجه الشيخان من طريق شريك بن عبد الله ، وأخرجه ابن أبى حاتم من طريق يزيد بن أبى مالك ، وأخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقى من طريق عبد الرحمن بن عتبة ، وأخرجه الترمذى وأحمد وعبد بن حميد والبيهقى وابن مردويه وأبو نعيم من طريق قتادة =

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني ، قال أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، قال حدثنا عمّار بن رجاء ، قال حدثنا أبو داود الطيالسي ، قال حدثنا هشام الدّستوائي ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، عن مالك بن صعصعة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين ، فأُتيت بطستٍ مُلِئَ حكمةً وإيماناً ، وأُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، أبيض يقال له البُراق ... وذكر الحديث .

وأخبرنا أبو نعيم ، قال : أخبرنا أبو عوانة ، قال حدّثنا يحيى بن أبي طالب ، قال حدثنا عبد الوهّاب بن عطاء ، قال حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، قال حدثنا أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران ، قال حدثنا روح بن عبادة ، قال حدثنا سعيد بن أبي عرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة[1] أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً

= وأخرجه ابن ماجه والحكيم الترمذى وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق يزيد بن أبي مالك أيضا ، وأخرجه ابن سعد وسعيد بن منصور والبزار والبيهقى وابن عساكر من طريق الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجونى ، وغيرهم .

(١) أخرجه الشيخان من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ، وأخرجه أحمد .

يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين، ثم أُتيت بطستٍ من ذهب فيها من ماء زمزم . .. وذكر الحديث .

وأخبرنا أبو نعيم ، قال أخبرنا أبو عَوانة ، قال حدّثنا إسماعيل بن إسحق القاضي ، قال حدّثنا محمّد بن أبي بكر ، قال ، وحدّثنا إدريس بن بكر ، قال حدّثنا يوسف بن بهلول ، قال حدّثنا عروة بن سليمان ، كلاهما قالا : حدّثنا مسرور بن نوح ، قال حدّثنا محمّد بن المثنّى ، قال حدّثنا ابن أبي عديّ ، كلاهما عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، قال : أخبرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وأخبرنا أبو نعيم ، قال أخبرنا أبو عوانة ، قال حدّثنا يعقوب بن سفيان الفارسي ، وأبو داود الحرّاني ، قالا حدّثنا عمر بن عاصم ، قال حدّثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن مالك بن صعصعة حدّثهم : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حدّثهم عن ليلة الإسراء فقال : بينا أنا نائم في الحطيم — وربّما قال في الحجر — إذ أتاني آتٍ ، فجعل يقول : أحد الثلاثة ، قال فأتاني فشقّ — وربّما قال فقدّ — ما بين هذه إلى هذه . قال قتادة : فقلت للجارود وهو قائدي : ما يعني؟ قال: من ثُغرة نحره إلى شِعرته ، قال وسمعته يقول من قُصّته إلى شِعرته . قال فاستخرج قلبي فغسله بماء زمزم وأُتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمةً ، فغُسل قلبي ، ثم حُشي ثم أُتيت بدابّة دون البغل وفوق الحمار أبيض . قال : فقال له الجارود : يا أبا حمزة ، أهو البُراق ؟ قال نعم ؛ يضع طرفه عند أقصى خطوه ، فحملت عليه ، فانطلق بي

جبريل عليه السلام حتّى أتى بى السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟
قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمّد ، قيل أوقد بعث إليه ؟ قال نعم ،
فقيل : مرحباً به ولنعم المجىء جاء ، قال ففتح ، فلمّا خلصت فإذا فيها آدم
عليه السلام قال : هذا أبوك آدم عليه السلام فسلِّمْ عليه ، قال فسلّمت عليه
فردّ علىّ ، وقال : مرحباً بالابن الصالح والنبىّ الصالح . ثم صعد إلى السماء
الثانية ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك قال محمد ،
قيل أوَقد أرسل إليه ، قال نعم ، قال مرحباً به ولنعم المجىء جاء ، فلمّا
خلصنا إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، فقال هذا عيسى ويحيى ، فسلم
عليهما فسلمت عليهما ، فردّا وقالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبىّ الصالح . ثم
صعد حتّى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا فقال جبريل ، قيل ومن
معك قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه قال نعم ، قيل مرحباً به ، ولنعم المجىء
جاء ، فلمّا خلصت إلى يوسف قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه
فردّ وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبىّ الصالح . قال : ثم صعد بى إلى السماء
الرابعة فاستفتح ، فقيل من هذا فقال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ،
قيل وقد أرسل إليه قال نعم ، قيل مرحباً به ولنعم المجىء جاء ، فلمّا خلصت
إلى إدريس قال : هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فردّ علىّ وقال مرحباً
بالأخ الصالح والنبىّ الصالح ، ثم صعد بى إلى السماء الخامسة ، فاستفتح فقيل
من هذا قال جبريل قيل : ومن معك قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه قال
نعم ، قيل مرحباً به ولنعم المجىء جاء ، فلمّا خلصت إذا هرون ، فقال سلم

عليه ، فسلمت عليه فردّ عليّ ، وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالح . ثم صعد حتّى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، فقيل من هذا قال جبريل ، قيل ومن معك قال محمد ، قيل وقد أُرسل إليه قال نعم ، قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فلمّا خلصت إذا موسى عليه السلام قال هذا أخوك موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالح ، فلمّا جاوزته بكى ، فقيل له ما يُبكيك ، قال أبكى أنّ غلاماً بعث بعدى يدخل الجنّة من أمته أكثر ممّا يدخلها من أمّتى . ثم صعد إلى السماء السابعة فاستفتح ، فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك ، قال محمد ، فقيل وقد أُرسل إليه قال نعم ، قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء فلمّا خلصنا إذا إبراهيم قال هذا إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فردّ وقال مرحباً بالابن الصالح والنبيّ الصالح ثم رُفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا هو يخرج من تحتها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت ما هذا يا جبريل ، فقال أمّا الباطنان فنهران فى الجنّة ، وأمّا الظاهران النيل والفرات . ثم رُفع بى إلى البيت المعمور .

قال قتادة حدّثنا الحسن عن أبى هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : يدخله فى كلّ يوم سبعون ألف مَلَك ثم لا يعودون فيه .

قال ثم رجع إلى حديث أنس بن مالك : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، قال فأخذت اللبن ، فقال هذه الفطرة التى أنت عليها وأمّتك ، قال فرضت الصلوات الخمسون

كل يوم . قال ورجعت فمررت بموسى عليه السلام ، فقال بما أُمرتَ ؟ قلت أُمرتُ بخمسين صلاةً كلّ يوم ، قال إنّي عالجت بني إسرائيل قبلك، وإنّ أمّتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنّي قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة فأُرجعْ إلى ربّك فسله التخفيف لأمّتك. قال : فرجعت ، فوضع عنّي عشراً ، قال فرجعت إلى موسى، فقال بما أمرت ؟ قلت أمرت بأربعين صلاة ، قال إنّي قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة فأُرجع إلى ربّك فسله التخفيف لأمّتك . فرجعت فوضع عنّي عشراً ، فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال بِمَ أمرت ؟ فقلت أمرت بثلاثين صلاة ، قال إنّ أمّتك لا تستطيع ثلاثين صلاة ، وإنّي قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة ، فأُرجع إلى ربّك وسله التخفيف لأمّتك ، قال : فرجعت فوضع عنّي عشراً ، قال فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت أمرت بعشرين صلاة ، فقال إنّ أمّتك لا تستطيع ذلك ، وإنّي قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة ، ارجعْ إلى ربّك وسله التخفيف لأمّتك ، قال فرجعت فأمرت بعشر صلوات ، فرجعت إلى موسى فقال بكم أمرت ؟ فقلت بعشر صلوات، قال إنّ أمّتك لا تستطيع ذلك وإنّي قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، ارجعْ إلى ربّك فسله التخفيف لأمّتك، قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات فرجعت إلى موسى فقال بكم أمرت ، قلت أمرت بخمس ، صلوات قال إنّ أمّتك لا تستطيع خمس صلوات كلّ يوم ، وإنّي قد خبرت

الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمّتك ، قال قلت قد سألت ربى حتى قد استحييت ، ولكن أرضى وأسلّم . قال فلما نفذت نادى منادٍ : إنى قد أنفذت فريضتى وخففتُ عن عبادى . هذا لفظ همّام عن قتادة ، وحديث سعيد بن أبى عروبة بنحوه وليس فيه ذكر الحسن وقال بمكان « قد خبرت الناس » قال « بلوت » زاد فيه « عن عبادى ، وجعلت كل حسنة عشر أمثالها » وليس فى حديث هشام أيضاً ذكر الحسن ولا الجارود .

وأخبرنا أبو نعيم قال : أخبرنا أبو عوانة قال حدّثنا محمّد بن عبد الله بن المنادى ، قال حدّثنا يونس بن محمّد ، قال حدّثنا شيبان ، عن قتادة ، قال حدّثنا أنس بن مالك : أنّ مالك بن صعصعة حدّثهم فذكر الحديث بطوله .

أخبرنا أبو نعيم الإسفراينى ، قال أخبرنا أبو عَوانة ، قال حدّثنا محمّد بن يحيى ، قال حدّثنا عبد الرزّاق ، عن معمر قال ، وحدّثنا الصاغانى ، قال أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، قال حدّثنى أبى ، عن صالح ، كلاهما عن أبى شبل ، عن أبى سلمة ، عن جابر عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال : لمّا كذّبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس فقمت فى الحجر وأثنيت على ربى ، وسألته أن يمثّل لى بيت المقدس فرُفع لى ، فجعلت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

وأخبرنا أبو نعيم ، قال أخبرنا أبو عَوانة قال حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال أبو سلمة :

سمعت جابر بن عبد الله يقول[١] قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لمّا كذّبتني قريش فجلّى الله بيت المقدّس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ، وفى بعض روايات أنس : فشقّ عن قلبه واستخرج منه علقة ، وقال هذا حظّ الشيطان منك .

وأخبرنا أبو نعيم ، قال أخبرنا أبو عوانة ، قال حدّثنا أبو أُميّة ، قال حدّثنا أحمد بن إسحق الحضرمى ، قال حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : أُتيت بالبراق وهو دابّة ، أبيض ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طَرْفه ، فركبته حتّى أتيت بيت المقدس ، فربطتُ الدابّة بالحلقة التى يربطها الأنبياء ، فصلّيت فيه ركعتين ، فأتانى جبريل عليه السلام بإناء من لبن وإناء من خمر ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل لى اخترت الفطرة ، وعرج بى إلى السماء الحديث . وفى هذا الحديث : فإذا أنا بيوسف ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن[٢] . فرحّب ودعا لى بخير ، وفى هذا الخبر : ثم انتهيت إلى سِدْرَة المنتهى ، وإذا ثمرها كالقلال ، وإذا أوراقها كآذان الفِيَلة ، فلمّا غشيها من الله ما غشى تغيّرت حتى ما يستطيع أحدٌ من خلق الله أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلىّ ما أوحى .

---

(١) أخرجه الشيخان .

(٢) فى الأصل « الحديثين » .

وأخبرنا أبو نعيم قال أخبرنا أبو عوانة قال حدّثنا بكّار[١] بن قتيبة البكراوى[٢] ، قال حدّثنا أبو أحمد الزبيدى ، قال[٣] حدّثنا حمّاد بن رجاء ، قال حدّثنا يحى بن آدم ، قال حدّثنا مالك بن مِغْول عن الزبير بن عدى ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن مرّة ، عن عبد الله بن مسعود[٤] قال : لمّا أُسرى برسول الله صلّى الله عليه وسلّم انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها حتّى يُقْبَض منها ، وإليها ينتهى بما عُرج من تحتها حتّى يُقْبَض منها ، قال : إذ يغشى السدرة ما يغشى فراش من ذهب ، فأُعطى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً[٥] : أُعطى الصلوات الخمس ، وأُعطى خواتيم سورة البقرة ، ويُغْفر لمن مات من أمّته لا يشرك بالله شيئاً . وفى رواية أبى هريرة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) فى الأصل « بكان » .

(٢) فى الأصل « البكروانى » .

(٣) ناقص من الأصل .

(٤) حديث ابن مسعود أخرجه مسلم من طريق ابن مرة الهمدانى ، وأبو نعيم من طريق عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وابن عساكر وابن عرفة فى جزئه ، وأحمد وابن ماجه وسعيد بن منصور والحاكم وصححه من طريق مؤثر بن غفارة والبزار وأبو يعلى والحارث بن أسامة والطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر من طريق علقمة ، ومسلم من طريق زر بن حبيش ، والبخارى من طريق علقمة ولم يصح سماع عبيدة عن أبيه عبد الله .

(٥) فى الأصل « ثلث » .

عمّا ذكره فى الصحيح يصف موسى عليه السلام : أنه رَجِل الرأس ، كأنّه من رجال شنوءة ، ونعت عيسى عليه السلام قال : ربعة أحمر كأنّه خرج من ديماس . والديماس الحمّام ، قال : ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل وأخذت اللبن فشربته ، فقيل لى هُدِيتَ الفطرة ، أو أصبت الفطرة ، أمّا إنّك لو أخذت الخمر غَوَت أمّتك . وفى رواية جابر مسنداً : فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنّه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ، ورأيت إبراهيم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم — يعنى به نفسه — ورأيت جبريل وإذا أقرب من رأيت به شبهاً دِحْية .

أخبرنا أبو نعيم ، قال أخبرنا أبو عوانة ، قال حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، وأبو عبيد الله ، قال حدّثنا ابن وهب ، قال أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، أخبره قال : كان أبو ذرّ[1] يحدّث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكّة فنزل جبريل عليه السلام ، ففرج صدرى ، ثم غسله بماء زمزم . فذكر الحديث ، وفيه : فلمّا علونا السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ،

---

(١) أخرجه الشيخان من طريق أنس عن أبى ذر ، والبخارى من طريق شريك عن أنس . قال السيوطى : اضطرب شريك فى هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه .

فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك وإذا نظر قِبَل شماله بكى ، قال مرحباً بالنبيّ الصالح والابن الصالح : قلت يا جبريل من هذا . قال هو آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نَسَم بنيه ، فأهل اليمين هم أهل الجنّة ، والأسودة التى عن شماله هم أهل النار ، فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك ، وإذا نظر قِبَل شماله بكى . وفى هذا الخبر : حتّى أُتى بى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى ، وفى بعض روايات أنس : إذا بنهرين يطّردان فى سماء الدنيا ، فقال ما هذان النهران ، قال هذا النيل والفرات ، عنصرها ، ثم مضى فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فذهب يشمّ ترابه ، فإذا هو مسك ، قال يا جبريل ما هذ النهر ، قال الكوثر الذى خبأ لك ربّك .

أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى ، قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى ، قال حدّثنا تمام ، قال حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال حدّثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أُتيت وأنا فى أهلى فانُطلق بى إلى زمزم وشُرح صدرى ، ثم غَسل بماء زمزم ، ثم أُتيت بطست من ذهب . ثم ذكر الحديث بطوله .

أخبرنا الإمام أبو بكر محمّد بن الحسن بن فورك رحمه الله ، قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ، حدّثنا يونس بن حبيب ، قال حدّثنا

أبو داود الطيالسى ، قال حدّثنا هشام ، عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بينا أنا فى الجنّة إذ رأيت نهراً فقلت يا جبريل ما هذا النهر ؟ فقال الكوثر الذى أعطاك ربّك ، فأدخلت يدى فإذا ترابه مسك أذفر . وفى بعض الروايات عن أنس : أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال له موسى : ارجعْ إلى ربّك فليخفّف عنك وعنهم فالتفت إلى جبريل عليه السلام كأنّه يستشيره فى ذلك ، فأشار إليه أن نعم إن شئت .

قال الأستاذ الإمام رضى الله عنه : هذه الأخبار مذكورة فى الصحاح ، وقد رُوى فى المعراج أخبار أخر . روى زيد بن على بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه(1) قال : لمّا ابتدأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بتعليم الأذان جاءه جبريل عليه السلام بدابّة ليركبها ، يقال لها بُرقة : فاستعصت عليه ، فقال يا جبريل إيتنى بدابّة ألين من هذه ، فقال لها جبريل اسكنى برقة ، فما ركبك آدمىّ أكرم على الله تعالى منه . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فركبتها حتى انتهيتُ إلى الحجاب الذى يلى الرحمن ، فخرج مَلَك من وراء الحجاب ، فقلت يا جبريل من هذا الملك ؟ فقال والذى أكرمك بالنبوّة ما رأيت هذا الملك قبل ساعتى هذه ، فقال : الملك : الله أكبر الله أكبر ، فنودى من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا

---

(1) أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم من طريق محمد بن الحنفية .

أكبر ، فقال الملك أشهد أن لا إله إلاّ الله ، فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى : أنا الله لا إله إلاّ أنا ، فقال الملك أشهد أنّ محمّداً رسول الله فنودى من وراءِ الحجاب : صدق عبدى أنا أرسلت محمّداً رسولاً ، فقال الملك حىّ على الصلاة حىّ الفلاح ، فنودى من وراء الحجاب : صدق عبدى ، ودعا إلىّ عبادى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيومئذ أكمل الله لى الشرف على النبيّين والمرسلين والأوّلين والآخرين .

قال الأستاذ الإمام رضى الله عنه هذا الخبر إن صحّ فليس فيه إلاّ لفظة الحجاب مما يقتضى التأويل ، ومعناه : انتهيت إلى الحجاب الذى لا يصل بعده مخلوق إلى ما وراءه ، ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه وتعالى موضعاً يكون وصول الخلق إليه ، فأمّا الله سبحانه وتعالى فيتعالى أن يكون له حدٌّ أو يجوز عليه من حيث المسافة قرب أو بعد ، والمنادى الذى كان ينادى عن الله تعالى بأن صدق عبدى يجوز أن يكون ملكاً[1] خلقه الله تعالى وراء الحجاب فيجيب عن الله سبحانه بذلك .

ورُوى عن زيد بن على بن الحسين بن على عن أبيه عن جدّه عن على رضى الله عنه قال صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر يوماً بغَلَسٍ فلمّا قضى الصلاة التفت إلينا وقال : فيكم من رأى الليلة شيئاً ؟ قال

---

(١) فى الأصل « ملك » .

قلنا لا يارسول الله ، قال ولكنى رأيت كأن ملكين أتيانى فأخذا بضبعى ، قال الأستاذ الإمام أيده الله : هذا الحديث يدلّ على أنه كان رؤيا . قال عليه السلام : فانطلقا بى إلى السماء فانطلقت فمررت على ملك وأمامه آدمىّ وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمىّ فيقع دماغه جانباً وتقع الصخرة جانباً ، قال قلت ما هذا قالا امضه ، فمضيت فإذا أنا بملك وبين يديه آدمىّ وبيد الملك كلوب من حديد فيضعه فى شدقه الأيمن فيشقّه حتّى ينتهى إلى أذنه ، ثم يأخذ فى الأيسر فيلتئم الأيمن ، قال قلت ما هذا قالا لى امضه ، فمضيت فإذا أنا بنهر من دم يفور كفوران المرجل ، وعلى حافتى النهر ملائكة بأيديهم نار ، كلّما طلع طالع قذفوه بها ، فيقع فى فيه ، فيشتعل إلى أسفل ذلك النهر ، قال قلت ما هذا قالا امضه ، فمضيت فإذا أنا ببيتٍ أسفله أضيق من أعلاه ، وفيه قوم عراة تفور من تحتهم النار ، فأمسكت على أنفى من نتن ما أجد من ريحهم قلت ما هذا قالا امضه ، فمضيت فإذا أنا بتلٍّ أسود عليه قوم مخنيون تُنْفَخ النار فى أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وآذانهم وأعينهم قال قلت ما هذا قالا لى امضه ، قال فمضيت فإذا أنا بنار مطبقة موكّل بها ملك لا يخرج منها شىء إلاّ اتّبعه حتى يعيده فيها ، قال قلت ما هذا قالا لى امضه ، فمضيت فإذا أنا بروضة خضراء وإذا فيها رجلٌ شيخٌ جميل لا أجد أجمل منه ، حوله الولدان وإذا أنا بشجرة ورقها كآذان الفيلة ، قال قلت ما هذا قالا لى امضه ، قال فصعدت إلى ما شاء الله من تلك الشجرة فإذا أنا بمنازل لا منازل أحسن منها من درّة جوفاء وزبرجدة

خضراء وياقوتة حمراء ، قال قلت ما هذا قالا لى امضه ، قال فمضيت فإذا أنا بنهر عليه جسر من ذهب وفضّة وعلى حافة النهر منازل لامنازل أحسن منها من درّة وزبرجدة وياقوتة وفيه أقداح وأباريق نظرة،قال قلت ما هذا قالا لى انزل فنزلت ، فضربت بيدى إلى إناء منها ثم غرفت ، فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من اللبن وألين من الزبد ، فقالا لى : أمّا صاحب الصخرة التى رأيت الملك يضرب هامته فيقع دماغه جانباً وتقع الصخرة جانباً فأولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ، ويصلّون الصلوات لغير مواقيتها ، فهم يعذّبون بها حتّى يصيروا إلى النار ، وأمّا صاحب الكلوب الذى رأيت به ملكا موكلا بيده كلوب من حديد يشقّ به شدقه الأيمن حتّى ينتهى إلى أذنه ثم يأخذ فى الأيسر فيلتئم الأيمن فأولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرّقوا بينهم فهم يعذّبون بها حتّى يصيروا إلى النار ، وأمّا النهر الذى رأيت يفور كفوران المرجل فيه قوم عراة على حافة النهر فأولئك الذين أكلوا الربا فهم يعذّبون بها حتى يصيروا إلى النار ، وأما البيت الذى رأيت أسفله أضيق من أعلاه وفيه قوم عراة توقد من تحتهم النار فأمسكت على أنفك من نتن ما تجد من ريحهم فأولئك الزناة وذلك نتن فروجهم فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار ، وأما التل الأسود الذى رأيت عليه قوما مخنيين تنفخ النار فى أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وآذانهم وأعينهم فأولئك الذين كانوا يعملون عمل قوم لوط الفاعل والمفعول به فهم يعذّبون بهذا حتّى يصيروا إلى

النار ، وأما النار المطبقة التى رأيت ملكاً موكلاً بها كلّما خرج منها شىء اتبعه حتّى يعيده فيها تلك جهنّم حتّى يُفرّق بين أهل الجنّة وأهل النار .

وأما الروضة الخضراء التى رأيت فتلك جنّة العامة . وأما الشيخ الذى رأيت لا أجمل منه حوله الولدان فذاك أبوك إبراهيم ، وأما الشجرة التى رأيت وطلعت إليها فيها منازل لا منازل أحسن منها من درّة جوفاء وزبوجدة خضراء وياقوتة حمراء فتلك منازل أهل علّيين من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً ، وأما هذا النهر الذى رأيت فهذا نهرك الذى أعطاكه [الله] وهذه منازلك ومنازل أمّتك. قال : ثم نوديت من فوق : يا محمّد سَلْ تُعْط ، قال فارتعدت فرائصى ورجف فؤادى واضطرب كلّ عضو منّى ولم أستطع أن أجيب شيئاً ، فأخذ أحد الملكين يده اليمنى فوضعها بين ثديىّ وأخذ الآخر فوضع يده بين كتفىّ فسكن ذلك منّى ، ثم نوديت من فوق : يا محمّد سل تعط ، يا محمد سل تعط ، قال قلت اللّهمّ إنّى أسألك أن تثبت شفاعتى ، وأن تلحق بى أهل بيتى ، وأن ألقاك لا ذنب [لى] ، قال ثم نزلا بى وأنزلت علىّ هذه الآية « إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

فصــــل

قال: وقد ورد حديث المعراج عن سليمان الأعمش ، وعطاء بن السائب ، بعضهم يزيد فى الحديث على بعض ، عن على بن أبى طالب ، وعن محمّد بن إسحق بن يسار ، عمّن حدّثه عن ابن عبّاس ، وعن الشعبى عن ابن مسعود ، وجويبر عن الضحّاك بن مزاحم [1] قالوا : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بيت أمّ هانىء راقداً وقد صلّى العشاء الآخرة وأخذ مضجعه وعند رأسه ثور من برام فيه مسواكه ، إذ أتاه جبريل عليه السلام فاستبعثه فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت . قال أنا جبريل ، فقال مرحباً بك ، قال جبريل أجِبْ ربّك يا محمّد ، قال ما تأمرنى ، قال شدّ إزارك واجمعْ عليك ثيابك ، ففعل ذلك فأخذ بضبعه فأخرجه إلى الباب ،

---

(١) أخرج حديث ابن عباس أحمد وأبو نعيم وابن مردويه بسند صحيح من طريق قابوس عن أبيه . والبخارى من طريق عكرمة . و كذلك أخرجه ابن حبان وابن مردويه من طريق ميسرة بن عبد ربه ، وسيأتى ذكر بعضه ، وفيه ذكر الديك وأوصاف أصناف غريبة من الملائكة وهو موضوع من هذا الطريق كما فى « تنزيه الشريعة لابن عراق » ونظيره ما أخرجه ابن سبع من ذكر الحجب ونعوتها . وحديث ابن مسعود سيأتى ، وفيه أنه عليه السلام اجتمع بالأنبياء قبل دخوله المسجد الأقصى ، قال ابن كثير : بعد أن ذكر أن الرواية غريبة : والصحيح أنه عليه السلام اجتمع بالأنبياء فى السموات ثم نزل إلى بيت المقدس وهم معه ، وصلى بهم فيه ثم ركب البراق ورجع إلى مكة .

وعلى الباب ملك معه دابّة يقال لها البراق مربوطة بسلسلة من ذهب ، وجهها كوجه إنسان وخدّها كخدّ الفرس ، وعرفها من لؤلؤة مشبّك بالمرجان الأحمر ، وناصيتها من ياقوت أحمر مدرج بالنور ، وأذناها من زمرّد أخضر ، وعيناها مثل الزهرة والمرّيخ يتّقدان ، محجّلة لها جناحان كجناحى النسر يقطر من جناحها مثل الجمان ، ذنبها كذنب البقر من فضة، مسبوج العظام منسوج بالياقوت والمرجان ، يجرى فيها النّفس كما تجرى فى الآدميّين ، لها جناحان كدائرة القمر ، فوق الحمار ودون البغل ، أظلافها كأظلاف البقر من زمرّد ، بطنها كالفضّة وعنقها وصدرها وظهرها كالذهب يلوح مثل (١) بين السماء والأرض خطوها منتهى نظرها ، قال فلمّا دنا منها النبىّ صلى الله عليه وسلم حادت نحو جبريل فمسح جبريل عرفها وقال : ألا تستحى يا براق ، فما ركبك أحد أكرم من محمّد . قال فحملانى عليها حتى انتهيت إلى ريف فلسطين ، فإذا أنا بامرأة مشبوحة الأكارع ترفل فى زينة من الثياب عليها عقد من لؤلؤ قد نظم من صدرها إلى ما يلى تراقيها ، واقفة وسط العين ، فقالت يا محمّد يا محمّد ، فالتفتّ إليها فقال جبريل هل تدرى من هذه ؟ قلت الله أعلم ، قال هذه الدنيا ، زُيّنت لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى فى الدنيا ، قال فلمّا مضيت ساعةً إذا منادٍ ينادى عن يمينى يقول : يا محمّد يا محمّد : فالتفتّ إليه ، فقال

---

(١) بياض بالأصل

جبريل هل تدرى ما هذا ؟ قلت الله أعلم ، قال هذا دين اليهود يدعوك ولو أجبت لتهودت أمّتك ، فقلت فلا حاجة لى فى دين اليهوديّة ، ثم مضينا ساعةً فنادى منادٍ عن يسارى : يا محمّد يا محمّد ، فالتفتّ إليه ، فقال جبريل هل تدرى ماهذا ؟ قلت الله أعلم ، قال هذا دين النصارى يدعوك ولو أجبت لتنصرت أمّتك ، فقلت فلا حاجة لى فيه ، حتى انتهينا إلى بيت المقدّس إيليا فأنزلانى عنده فطعن جبريل بأصبعه الاسطوانة فثقبها ، فربط فيها البراق ، ثم نادى جبريل ميكائيل ، وميكائيل ملكاً آخر ثم ذلك الملك ملكاً آخر إلى يمينه وهم خزّان الجنّة ، فأرسلوا المعراج وحُمل المعراج من جنّة الفردوس منضوداً باللؤلؤ عليه نصاف الدرج أحسن شىء خلقه الله من ياقوت أحمر وأصفر ولؤلؤ وفضّة وذهب وزمرّد حتى أُدلىَ من السماء الدنيا إلى بيت المقدّس من عن يمينى المعراج أربعمائة ألف ملك وعن يساره أربعمائة ألف ملك ، و بين يديه ألف ملك ومن خلفه ألف ملك لكلّ ملك جناحان أخضران ، ثم حمل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى كلّ منعرج ملك متوّج بتاج من نوره ، له جناحان أخضران معه خمسمائة من الملائكة ، وجوههم كالقمر كلّهم يقولون : مرحباً بك يا محمّد ، بين كلّ درجتين مسيرة أربعين عاماً ، فالدرجة الأولى عليها ألف من الملائكة وعلى الثانية ألفان وعلى الثالثة ثلاثة آلاف ، على هذا النحو ذكروا إلى خمس وخمسين درجة .

وفى هــذا الحديث عجائب من أعداد الملائكة وأسمائهم وصفاتهم

[وكيف][١] يتناثر الدّر واليواقيت ممّن سبّحوا منهم ، والتقاط أقوام من الملائكة ما يتناثر من أفواههم من الدّر عند التسبيح تركنا تفصيلها حذر الإطالة واكتفاء بذكر البعض .

قال : ثم رأيت ملائكةً فى الهواء لا يحصون فسألت جبريل عنهم فقال هؤلاء ملائكة يسبّحون فى الهواء منذ خُلقت السموات والأرض رؤسهم تحت أجنحتهم لم ينظر أحدهم إلى شىء من جسده قطّ خوفاً من الله يسبّحون ويبكون لا يدرى أين تذهب دموعهم . قال ثم انتهينا إلى باب من أبواب السماء الدنيا عليه مَلَكٌ يقال له إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك فاستفتح جبريل ففتح لهم ورحب بمحمّد صلى الله عليه وسلّم ، واسم السماء الدنيا الرقيع وهى موج مكفوف . قال فلمّا دخلنا لم نلق ملكاً إلاّ ضاحكاً مستبشراً حتى لقيتُ ملكاً من الملائكة قال لى مثل ما قالوا إلاّ أنّه لم يضحك ولم أر منه البشر الذى رأيت من غيره، فقال جبريل أما إنّه لو ضحك إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنّه لا يضحك، هذا مالك خازن النار لم يضحك قطّ ولم يتبسم قطّ ولم يزل عابساً كالحاً مغضباً معرضاً من شدّة غضبه على أهل النار لغضب ربّهم عليهم ، فقلت يا جبريل ألا تأمره أن يُرينى النار قال بلى قال يا مالك إنّ محمّداً رسول الله يريد أن ينظر إلى النار قال فكشف لى عن غطائها ففارت النار وارتفعت وهى سوداء مظلمة لا يضىء لهبها ولا نارها لها تحطم وتهدم ولها زفير وشهيق تكاد تميّز من الغيظ ،

---

(١) بياض فى الأصل .

فطارت وارتفعت حتى ظننت أنّها ستأخذنى فقلت يا جبريل مُرْه فليردها ، فقال جبريل يا مالك اردها إلى مكانها ، فقال لها مالك فرجعت إلى مكانها الذى خرجت منه فما شبّهتُ وقوعها ورجوعها إلاّ بوقوع الظلّ حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاؤها فنعوذ بالله الرحمن الرحيم من النار .

وقال صلى الله عليه وسلم : فرأيت رجلاً جالساً يُعرَضُ عليه أرواح بنى آدم فيقول لبعضهم خيراً ويبشرهم بالخير ، ويقول روح طيّب خرجت من جسد طيّب ويسر بذلك . ويقول لبعضها شراً ويعبس ويقول روح خبيث ، قلت من هذا يا جبريل هذا أبوك آدم عليه السلام يعرض عليه أرواح ذرّيّته . قال فأتينا آدم فسلّمت عليه فقال مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح ، قال ورأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل فى أيديهم قطع من النار كالأفهار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً ، قال ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قطّ يعرضون على النار لا يستطيعون أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك ، فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء أكلة الربا ، ورأيت رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيّب إلى جنبه غثّ منتن يأكلون الغثّ ويتركون السمين الطيّب ، فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يرتكبون ماحرّم الله عليهم هؤلاء الزناة . ثم رأيت نساء معلّقات بأثدائهنّ فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : اشتدّ غضب الله على امراة أدخلت على قوم من ليس منهم فأكلوا ميرتهم واطّلعوا على عوراتهم . قال ثم أتينا السماء الثانية وهى نحاس يشبه نحاس الدنيا اسمها تيتاً واسم خازنها رفائيل فاستفتح جبريل ففتح له ، وقيل من معك ؟ قال محمّد ، قالوا وقد بعث إليه، قال نعم قالوا مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فما استقبلنى أحد من الملائكة إلاّ رحب واستبشر ، وقال خيراً وسلم علىّ . ثم أتينا على عيسى ويحيى فقالا مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالح فقلت من هذان ياجبريل ، قال هذان يحيى وعيسى ابنا الخالة ، قال ثم أتينا السماء الثالثة فإذا هى من فضّة اسمها زيلون واسم خازنها كوكب ياليل ، فاستفتح جبريل الباب ففُتح له ورحبوا : محمّد صلوات الله عليه وسلامه ، وجعل لا يمرّ بأحد من الملائكة إلاّ رحبوا به وسلّموا ، وإذا فيها رجل صورته كالقمر ليلة البدر فقلت من هذا يا جبريل فقال هذا أخوك يوسف بن يعقوب فسلم عليه ورحب . قال ثم أتينا السماء الرابعة فإذا هى من ذهب صفراء اسمها الماعون واسم خازنها مؤمن ياليل وإذا فيها إدريس عليه السلام فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالح وإذا فيها لمريم بنت عمران سبعون قصراً من لؤلؤ ، ولأمّ موسى عليه السلام سبعون قصراً من زمرد أخضر ، ولآسية بنت مزاحم امرأة فرعون سبعون قصراً من ياقوت ، ولخديجة بنت خويلد أمّ أولاد النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعون قصراً من ياقوت أحمر ، ولفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وسلم سبعون قصراً من مرجانة حمراء مكلّلة باللؤلؤ أبوابها وتكاتها وأسرّتها

من عرق واحد . قال ثم انتهينا إلى السماء الخامسة وإذا هى ياقوت أحمر اسمها شقحين واسم خازنها شطغطياليل ، فاستفتح جبريل ففتح له فاستقبلهم الملائكة بالترحيب، وإذا فيها هارون بن عمران، كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون ، فسلم عليهم وقال مرحبا بالنبىّ الصالح والأخ الصالح . قال فانتهينا إلى السماء السادسة وإذا هى زمردة خضراء اسمها غزريون ، واسم خازنها من الملائكة روعنياليل ، فاستفتح جبريل ففتح له واستقبلهم الملائكة بالترحيب، وإذا فيها موسى بن عمران رجل آدم طويل كأنه من رجال شنوءة، فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبىّ الصالح ، قال فلمّا جاورته بكى فقيل له ما يبكيك يا موسى؟ فقال يارب هذا نبىّ بعثته من بعدى يدخل من أمته الجنّة أكثر ممّا يدخل من أمتى . قال ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة ، وإذا هى نور واسمها مرشمعوا واسم خازنها من الملائكة نورياليل وفوقها البحر المسجور، وبين السماء وبين البحر مسيرة خمسمائة عام، والبحر فوقها على غير شىء بإذن الله عزوجلّ، وعمق البحر مسيرة خمسمائة عام وفوق البحر مرموتاً ، وهو تحت العرش والعرش فوقها، خلق الله العرش من جوهرة خضراء من نور وللعرش ألف لسان يسبّح كلّ لسان بسبعين ألف لغة لكلّ لسان للعرش ألف أمة فى الأرض ، ستمائة أمة فى البحر وأربعمائة أمة فى البرّ، سيّد هذه الأمم كلها محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس فى العرش مكان إلا وفيه تمثال وجه مما خلق الله من كل خلقه يسبحه ، وخلق الله الكرسى

من نور وهو محيط بالسموات والأرض مثل الحلقة الملقاة فى الفلاة وهى فى جوف الكرسىّ فذلك قوله عز وجلّ : « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ »[1] وفوق البحر المسجور بحار وفيها ملائكة كثيرون لكلّ واحد سبعون ألف رأس فى كل رأس سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان يسبّح كل لسان بلغة لا يسبح بها اللسان الآخر ، وملائكة هناك لكلّ واحد ستمائة ألف جناح ، لكلّ جناح سبعون ألف ريشة ، فإذا سبّح لسانه الكبير خرج من كلّ مكان من ريشه ملك من الملائكة يسبّح الله تعالى لا يسأم ولا يعيي ولا يكسل ، ولو أشرف على ملائكة السماء السابعة لاحترقت ملائكة السماء السابعة من نوره .

قال : فلمّا انتهينا إلى السماء السابعة إذا نحن بكهل جالس على باب البيت المعمور لم أر رجلاً قطّ أشبه بصاحبكم منه ، فقلت : من هذا يا جبريل ؟ فقال : أبوك إبراهيم ، فسلّمنا عليه ، فقال : مرحباً بالابن الصالح والنبىّ الصالح . قال : ثم رأينا ملكاً قد افترقت رجلاه من الأرضين السفلى ، وافترق رأسه من السماء السابعة العليا، غلظ كلّ جناح من أجنحته مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كلّ جناحين مسيرة خمسمائة عام للراكب المسرع ، ومن لدن رأسه إلى منتهى قدميه ممتلىء وجوهاً ونوراً ، وفى كلّ جزء منه وجوه كثيرة يسبّح كلّ لسان فى هذه الوجوه بلغة أخرى لا يشبه

(١) سورة ٢ : ٢٦٥

وجه وجهاً ولا لغة لغةً ولا عين عيناً ، ليس فيه عين إلاّ وفيه من البرق والنور مالا يحصى ، فى جانب من جسده نور أحمر ، وفى جانب نور أصفر ، وفى جانب نور أخضر ، وفى جانب نور أبيض ، وليس فى جسده من أعضائه وريشه وبشرته وشعره جزء إلاّ وهو يسبّح بتسبيح آخر فيخرج كلّ يوم من تسبيحه بعدد ما خلق الله من الملائكة يسبّحون ، لو أراد أن يلتقم السموات والأرض بلقمة واحدة لأطاق لا يستطيع أحد من الملائكة ينظر إليه من نوره لا جبريل ولا ميكائيل ولا الكروبيون ، وهو الروح المذكور فى القرآن يُرفع إليه أمور أهل السموات والأرضين ، وهو يرفعها إلى الله ، فهو صاحب الحجب وسرادقات العرش ، وهو كاتب الرحمن .

قال : ثم أصعد بى إلى الجنّة ، وهى جنّة واحدة قطعها الله على أربع جنّات ذواتا أفنان مدهامّتان ، والجنّة كلها مائة درجة بين كلّ درجتين مسيرة خمسمائة عام ، فأوّل درجة من فضّة دورها وبيوتها وأبوابها وأغلاقها ، والدرجة الثانية ذهب أحمر دورها وبيوتها وأبوابها وأغلاقها ، والثالثة من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد دورها وبيوتها وأبوابها وأغلاقها ، وسبع وتسعون درجة ما أخفى لهم من قرّة أعين لم يطّلع عليه بشر ، فأوسط الجنّة عدن يتفجر من تحت عدن عين منها تتفجر جميع أنهار الجنّة ، وفى هذه الجنان الثلاثة من الجنان فى الكثرة عدد النجوم وورق الشجر ، وعلى هذه الجنان الثلاثة حائط طوله فى السماء مسيرة خمسمائة سنة ، والحائط لبنة من ذهب ولبنة من فضّة ، ولبنة من درّ ولبنة من ياقوت أحمر ، ولبنة من زمرّد

أخضر ولبنة من ياقوت أصفر ، ولبنة من زبرجد أخضر وملاطه المسك ، وقد شُرّف فشرفه من نور يتلألأ يرى الرجل وجهه فى الحائط ، وفى الحائط ثمانية أبواب على كلّ باب مصراعان عرضهما كحضر الفرس السريع سنة . وأرض الجنّة رخام من فضّة وترابها الورس ، وحشيشها الزعفران ، وكثبانها المسك ، ورضراضها الدرّ والياقوت ، وأنهار الجنّة تجرى فى غير أخدود أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل ، وأطيب ريحاً من المسك ، ونخل الجنّة أجذاعها الذهب الأحمر ، وكَرَبها زمرّد أخضر ، وشماريخها درّ أبيض ، وسعفها الحلل فيه الوشى كلّه ، ورطبها أشدّ بياضاً من الفضّة وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، ليس له عجم ، وطول العذق اثنا عشر ذراعاً منضود من أعلاه إلى أسفله لا يؤخذ منه شىء إلاّ أعاده الله كما كان فذلك قوله عزّ وجلّ : « لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ »[1] . والحور العين خلقهنّ الله فى الجنّة مع شجرها ، ثم حبسهنّ فى خيام الدرّ على أزواجهنّ فى الجنّة على الواحدة سبعون حلّة من حرير لا تشبه واحدة صاحبتها لكلّ حلّة سبعون لوناً لو نُشر رداء من أرديتهنّ لوُجد ريح الرداء من مسيرة مائة سنة ، لو اطّلعت إحداهنّ[2] من سقف الدنيا لسطع نورها من المشرق والمغرب ، ولافتتن بها كلّ نبىّ وبرّ وفاجر ، ولاسودّ ضوء الشمس والقمر منها ، ولو مجّت بريقها فى البحر لعذب البحر .

---

(١) سورة ٣٢ : ٥٦

(٢) فى الاصل « إحديهن » .

وقال عليه الصلاة والسلام : أبصرت جاريةً لعساء فأعجبتني ، فقلت : لمن أنت ؟ فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشرت بها زيداً[١] .

قال : فرفعت لنا سدرة المنتهى فانتهينا إليها وإذا ساقها ذهب أحمر وقضبانها لؤلؤ أبيض ومرجان وعقيان وفضة ، على كلِّ قضيب سبعون ألف ورقة ما بين الورقة والورقة مسيرة أربعين عاماً ورقها زمرد أخضر مثل ريش الطاووس في الحسن، الورقة منها تظل الدنيا، على كلِّ ورقة ملك كأن وجهه الوَرِق ، مكتوب على جباههم سكان سدرة المنتهى ، يقولون سبحان الله الأول ، سبحان الله الآخر ، سبحان الله الظاهر ، سبحان الله الباطن، سبحان الله الملك ، سبحان الله وبحمده ، يتنزه أطفال أهل الجنة عند سدرة المنتهى ، وينحشر إليها طير الجنة ، يسبحون بأصوات لم يُسمع بصوتٍ أحسن منها، ينادين بأصواتهن : نحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن المقيمات فلا نظعن ، ونحن خيرات حسان ، وكذلك الحور العين يقلن[٢] هذه الكلمات .

وبين حملة العرش وسكّان سدرة المنتهى من الملائكة خمس سرادقات من النور والنار والثلج والغمام والبرد ، ولولا ذلك لاحترق سكّان سدرة المنتهى من نور حملة العرش ، يضيء شعاعهم سدرة المنتهى ، ويضيء النور

---

(١) في الأصل « زيد » .

(٢) في الأصل «يقول» .

من سدرة المنتهى إلى السماء الدنيا ولهم عيد يجتمع إليه الملائكة كل ليلة جمعة ، فإذا اهتزّ العرش رجّوا بالتسبيح وأجابتهم ملائكة السموات السبع بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ، حتّى إذا كان عند انفجار الصبح تفرّقت الملائكة ، ويقع ضوء نور العرش على سدرة المنتهى ، فلا يقدر أحد ينظر إليه . وإن جبريل عليه السلام ينزل إلى نهر يقال له الشرقيّ ، فيغتسل فيه ، فيخرج وينفض أجنحته فيقطر من أجنحته سبعون ألف قطرة ، يخلق الله من كلّ قطرة ملكاً ، يدخلون البيت المعمور ثم لا يعودون إليه، ويشتغلون بالعبادة إلى القيامة. وهذا قوله: «والبيت المعمور» تعمره هذه الملائكة كلّ يوم .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : سدرة المنتهى حيث انتهى إليها الملائكة : ما جاوزها بعد إلاّ محمد صلّى الله عليه وسلّم ، ثم إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمّ الأنبياء عليهم السلام فصلّى بهم هناك ، قال ثم انطلقتُ حتّى كان بيني وبين ربّي قاب قوسين أو أدنى ، ففرض عليّ خمسين صلاة ، كلّ يوم ، ثم جئت حتّى مررت على موسى فذكر الحديث. ثم حمله جبريل عليه السلام حتّى أتى به بيت المقدس ، فحمله على البراق فذهب ، فلمّا أصبح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غدا على قريش ، فأخبرهم الخبر فكَبُرَ على الناس ، وقالوا : والله الذى لا إله إلا هو إنّ العير لتُطْرَد شهراً من مكّة إلى الشام مدبرةً وتطرد شهراً مقبلةً ، فيذهب محمّد فى ليلة ويرجع إلى مكّة ، فرجع كثير من الناس عن الإسلام ممّن كان قد أسلم ، فذهب الناس إلى

أبى بكر فقالوا يا أبا بكر هالك من صاحبك ، يقول : إنّى أتيت الليلة بيت المقدس ورجعت إلى مكّة فى ليلة واحدة ، فقال لهم أبو بكر إنكم تكذبون عليه ، فقالوا بلى ها هو ذاك فى المسجد يحدّث الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قال لقد صدق ، ما يعجبكم من ذلك : إنّه ليخبر بالخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار ، فأصدّق به وهو أبعد من بيت المقدس ، فما تعجبون منه . ثم أقبل أبو بكر حتّى أتى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال له : يا رسول الله : تحدّث هؤلاء أنّك قلت إنّى أتيت بيت المقدّس الليلة وصلّيت فيه ورجعت ، قال نعم ، قال أبو بكر فصِفْه لى : فروى عن الحسن البصرى أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فرُفع لى بيت المقدّس حتّى نظرت إليه ، ثم جعل يصف لأبى بكر ، وجعل أبو بكر يقول صدقت صدقت ، أشهد أنك رسول الله حتّى انتهى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنت يا أبا بكر الصدّيق ، فسُمّى يومئذ الصدّيق صدّيقاً ، فأنزل الله عز وجل « وَمَا جَعَلْنَا الرؤْيَا التِي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ »[1] قيل نزلت هذه الآية فى الذين ارتدّوا عن الإسلام بسبب المعراج . وروى الحسن البصرى عن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : أُسرى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بيتى ، وقد وضع رأسه وقت العشاء الآخرة فلما أصبح وصلّينا معه قال يا أم هانىء : لقد صلّيت العشاء الآخرة ،

---

(١) سورة ١٧ : ٦٢ .

كما رأيت بهذا الوادى ثم أتيت بيت المقدس ، فصليت معكم كما رأيت الغداة ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف ثوبه ، فقلت لا تحدث بأبى أنت وأمى بهذا الناس لا يكذّبونك ولا يؤذونك ، فقال بلى لأحدثنّهم به ، قالت فقلت لجويرية لى يقال لها نبعة : اتّبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعى ماذا يقول الناس له ؛ فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى خرج على الناس ، فأخبرهم فقالوا : وما آية ذلك ؟ قال: إنّى مررتُ بعير آل فلان ؟ قال بمكان كذا وكذا ، فأنفرهم حسّ الدابّة ، فندّلهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، حتّى إذا مررت بعير بنى فلان فوجدتهم نياماً ، ووجدت لهم إناء ماء قد غطّوه ، فكشفت غطاءه فشربت ما فيه ، ثم غطّيته كما كان ، وآية ذلك : أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء بثنيّة التنعيم يقدمها جَمَل أورق عليه غرارتان إحدهما سوداء والأخرى برقاء ، فابتدر القوم الثنية وكان أول ما لقيهم جمل أورق عليه غرارتان كما قال ، فسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنّهم وضعوه مملوءاً ماءً ثم غطّوه فاستيقظوا فلم يجدوا فيه شيئاً من الماء ، فسألوا عن البعير فقالوا صدق ندّ لنا بعير فى وادى كذا فسمعنا صوت رجل يدل عليه فانطلقنا فوجدناه . قال الأستاذ الإمام : هذه أقاويل أهل التفسير تركنا أسانيدها مخافة التطويل .

وقد روى حديث المعراج عن أبى حذيفة إسحق بن بشر القرشى البخارى بأسانيد تكلّموا فيها ، وزيادات لم يقبلها أهل هذه الصنعة الذين هم أئمة المحدّثين ، فإنّ أبا حذيفة لا يحتجّ بحديثه فذكرنا بعض ما فى روايته

من الزيادات مما لم يبلغ حدّ المناكير ؛ ففي روايته : أنه لما قرّب لأركبه تشامس ، حكى فقال يا جبريل صفراً ، فقال جبريل يا محمّد هل مسست صفراً قطّ ، قلت لا والله ، إلاّ أنّي ركبت يوماً على إساف ونائلة فمسحت يدى على رءوسهما ، فقلت إنّ قوماً يعبدونكما من دون الله هم ضلاّل ، وقال كان البراق بعيد العهد فى الركوب لم يُركب فى الفترة أربعمائة سنة ، فقال جبريل : مهلاً يا براق ، أما تستحيى ، ما ركبك أحد أكرم على الله من محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، قال فانصبّ عرقاً حياء منّى ، ثم خفض حتى لزق بالأرض فركبته . وقال : لما انتهى بى إلى باب المسجد فإذا أنا بالأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله قبلى من لدن إدريس ونوح إلى عيسى قد جمعهم الله ، فسلّموا علىّ وحيّونى ، وقال جبريل سل هؤلاء هل كان لله شريك ، وذلك قوله سبحانه وتعالى : « وَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا » فأقروا لله بالعبوديّة وله سبحانه بالوحدانيّة ، ثم قدّمنى فصلّيت بهم ركعتين قال ثم أخذ بيدى ، وذكر حديث المعراج ، وفى هذا الخبر : رأيت فى السماء الدنيا ديكاً أبيض له زغب أخضر تحت ريشه كأشدّ خضرة رأيتها ورجلاه فى تخوم الأرض السفلى ورأسه ملتصقا عند العرش يسبّح الله بالليل يقول سبحان الملك القدّوس المتعال لا إله إلاّ الله الحىّ القيوم فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض وخفقت بأجنحتها وأخذت فى الصراخ ، فإذا سكن ذلك الديك سكنت الديكة كلّها . قال : ومررت بملائكة نصفهم من نار ونصفهم من ثلج يقولون اللهمّ يا من ألّفت بين النار والثلج ألّفْ بين قلوب

عبادك المؤمنين . قال ثم مررت بملك جالس على كرسيّ جمع له الدنيا بين ركبتيه فى يده لوح كهيئة الحزين ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً فقلت من هذا يا جبريل فقال ملك الموت يكون دائباً فى قبض الأرواح فقلت كفى بالموت من طامّة ، فقال جبريل بعد الموت أطم وأعظم ، فقلت ما ذاك يا جبريل فقال منكر ونكير . ثم ذكر حديث السؤال ، ثم قال لى : أبشر فإنى أرى الخير كله فى أمّتك ، قال ثم رأيت ملكاً عابس الوجه ما رأيت قبله مثله ، فقال هذا مالك خازن جهنم ، ووصفه . قال فلمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى قال لى تقدّم يا محمّد فإنّك أكرم على الله منى ، فتقدّمت وجبريل على أثرى حتّى انتهى بى إلى حجاب فراش وغلظه مسيرة خمسمائة عام ، ثم قال لى تقدّم ، فانطلق بى إلى اللؤلؤة حتى جاوز بى سبعين حجاباً ، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ، قال ثم دُلّى رفرف أخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس ، ووضعت على ذلك الرفرف ، فاحتملنى حتّى وصل بى إلى العرش ، فلمّا رأيت العرش اتضح أمر كلّ شيء عند العرش ، فأبصرت أمراً عظيماً لا تناله الألسن ، ثم سألت الله تعالى أن يثبتنى ، ثم غشى نور العرش بصرى ، فكنت أرى بقلبى ولا أرى ببصرى ، ورأيت من خلفى من بين كتفى كما رأيت أمامى ، ورأيت من عجائب عظمته ما أنسانى كل شيء ، وكنت فى القرب من الله كما قال: «فَكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أَدْنَى» ووجدت من كرامته ما أضمحلّ به عنّى كلّ هول كان قبل ذلك ، وتخلت عنى روعتى ، واطمأنّ قلبى وامتلأت فرحاً ، وجعلت أتنقّض وأميل كما

يميل القنديل ، وأتكفأ يميناً وشمالاً ، و يأخذنى مثل السبات وظننت أن من فى السموات والأرض قد ماتوا فتركنى إلهى ما شاء ، ثم رَدَّ إلىّ ذهنى ، فكأنى كنت مسبوتاً ، فأفقت فثاب إلى عقلى واطمأننت ، وعرفت مكانى وما أنا فيه من الكرامة ، فكلّمنى ربى سبحانه وبحمده فقال : يا محمد هل تعلم فيم اختصم الملأ الأعلى ، قلت يا رب أنت ذا أعلم بذلك ، فقال اختلفوا فى الدرجات ، فهل تدرى ما الدرجات وما الحسنات ، فقلت أنت أعلم يا رب ، فقال الدرجات إسباغ الوضوء فى المكروهات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، والحسنات إفشاء السلام ، وإطعام الطعام . والتهجد بالليل والناس نيام .

ثم قال لى يا محمّد آمَنَ الرسول ، قلت نعم أى ربّ ، قال فمن ؟ قلت والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، مما فرقت اليهود والنصارى ، قال فقال وماذا قالوا ؟ قال قلت قالوا : سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، قال صدقت سَلْ تُعْطَ ، قال قلت غفرانك ربّنا وإليك المصير ، قال قد غفرت لك ولأمّتك ، سل تعط ، قال قلت ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، قال قد رفعت الخطايا والنسيان عنك وعن أمّتك ، وما استُكْرهوا عليه ، قال قلت ربّنا ولا تحمل علينا إصراً — يعنى ذنباً — كما حملته على الذين من قبلنا ، يعنى اليهود ، قال لك ذلك ولأمّتك ، قال قلت ربّنا ولا تُحملنا مالا طاقة لنا به ، قال قد فعلت ذلك بك وبأمّتك ، سل تعط ، قال قلت ربّنا أعفُ عنّا من الخسف واغفر لنا من

القذف وارحمنا من المسخ ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، قال قد فعلت ذلك بك وبأمتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً ورفعت إدريس مكاناً عليّاً وآتيت سليمان ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده وآتيت داود زبوراً فما لى يارب ؟ فقال لى ربى يا محمد اتخذتك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمتك كما كلمت موسى تكليماً وأعطيتك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، وكانا من كنوز العرش ، ولم أعط نبيًّا قبلك ، وأرسلناك إلى أهل الأرض جميعاً أبيضهم وأسودهم وأحمرهم وأنسيهم وجنيهم ، ولم أرسل إلى نبى قبلك ، وجعلت الأرض كلها بحرها وبرها طهوراً ومسجداً لك ولأمتك وأطعمت أمتك الفيء ولم أطعمه أمة قبلها ، ونصرتك بالرعب مسيرة شهر ، وأنزلت عليك سيد الكتب كلها ومهيمناً عليها ، وإنا فرقناه ورفعنا لك ذكرك حتى تذكر كلما ذكرت ، وأعطيتك مكان التوراة ومكان الإنجيل المثين ، ومكان الزبور الحواميم وفضلتك بالمفصل نخذ ما آتيتك بقوة وكن من الشاكرين . ثم أفضى إلى أموراً بعد هذا لم يؤذن لى أن أخبركم بها فلما عهد إلى بعهده تركنى عنده ما شاء ثم قال لى ارجع إلى قومك مبلغهم عنى . ثم رد إلى بصرى فنظرت فإذا قد جعل بينى وبينه حجاب من نور يلتهب التهاباً لا يعرف كثافته إلا الله وجعل الرفرف الأخضر الذى كنت عليه يخفضنى مرة ، فكأنه يطار بى إذا رفعنى وإذا خفضنى من أسفل ظننت أنى أهوى هوياً حتى نزل بى ذلك الرفرف فأهوى بى إلى جبريل

عليه السلام فيناجيني وارتفع الرفرف حتّى توارى عن بصرى ، فنظرت فإذا أنا بجبريل أبصره خلفى بقلبى كما أبصره بعينى أمامى ، فلمّا أكرمنى الله عز وجل به وبما رأيت من نور العرش ونور الحجاب ونور البحار ونور الجبال فى عليّين ، وما رأيت من عجائب خلق ربّى وما ثبّتنى له ربّى سمعت من أصوات الكروبيين وصوت العرش وصوت الكرسىّ وسرادقات النور وارتفاع أصواتهم بالثناء على الله والتحميد له وكلّ ذلك عاينت وثبّتنى الله لرؤيته ، وقال لى جبريل يامحمّد أبشرْ فإنك من خيرة خلقه وصفوته من النبّين ، حيّاك الله بما لم يحى أحداً من خلقه لا ملكا مقرباً ولا نبياً مرسلا، ولقد قرّبك الرحمن إليه قريباً بين عرشه مكاناً لم يصل إليه أحد من أهل السموات ولا من أهل الأرض ، فهنالك الله بكرامته وما حيّاك به . فلمّا أكرمنى ربّى برؤيته حدّد بصرى لرؤية ربّ العزّة ، ونور الحجب ونور البحور والجبال التى فى عليّين ، ونور الكروبيين وما تحت ذلك من عجائب خلق ربّى إلى منتهى الأرض ، أرى ذلك كله بعضا من تحت بعض بعد ما كان يشقّ علىّ رؤية كل واحد منها على حدة ، وكاد بصرى دونه يختطف ، فسمت فإذا صوت الكروبيين وما فوقهم وصوت العرش وصوت الكرسىّ وأصوات سرادقات النور حول العرش وأصوات الحجب قد ارتفعت حولى بالتقديس والتسبيح لله تعالى والثناء والتحميد له ، فسمعت أصواتاً شتى ، ثم قال انطلقْ يا محمّد إلى الجنة حتى أريك ما لك فيها وما أعدّ الله لك فيها : قال فسرت مع جبريل حتّى وصلنا إلى الجنّة فلمّا دخلت

هدأت نفسي وسكنت روعتي وأنشأت أسأت جبريل لمّا رأيت عليّين وهو يجيبني ، ثم رأيت ما في الجنّة ورأيت شجرة طوبى ، ووصف أشياء كثيرة تركنا ذكرها خشية التطويل . قال ثم أخرجني من الجنّة فمررت بالسموات منحدراً من سماء إلى سماء ورأيت الأنبياء فكلّهم تلقوني بالتحيّة ثم انصرفت إلى مضجعي . فأنا سيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وإلى مفاتيح الجنّة يوم القيامة ولا فخر [١] .

أخبرنا أبو الحسين محمد بن الفضل ببغداد ، قال حدثنا أبو علي إسماعيل ابن محمّد الصفار ، قال حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي ، قال حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن [قنان][٢] بن عبد الله النّهمي ، قال حدثنا

---

(١) أخرجه ابن مردويه في تفسيره بطوله ، وذكره ابن عراق على كبره وأخرج بعضه ابن حبان من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه واتهم به ، وأخرجه ابن مردويه من غير طريق ميسرة فدل على أن الآفة فيه من غير ميسرة وأنها من شيخه عمر بن سليمان الدمشقي ، وهو عمر بن موسى بن سليمان الشامي البصري ، قال ابن عدي : يسرق الحديث ، فالحديث موضوع من هذا الطريق ، وقد ورد أيضاً من طريق إسحق بن بشر البخاري وهو صاحب كتاب المبتدأ ، وقد كذبه ابن المديني ومسلم والدارقطني وابن أبي شيبة والأزدي وابن حبان وقال : لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب ، وقال ابن الجوزي : أجمعوا على أنه كذاب ، كما في لسان الميزان .

(٢) في الأصل قتادة ، وهو خطأ .

أبو ظبيان الجهني[١]، قال : كنّا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله ومحمّد ابن سعد بن أبي وقّاص وهما جالسان ، فقال محمّد بن سعد لأبي عبيدة : حدّثنا عن أبيك ليلة أسرى بمحمّد صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو عبيدة : لا ، بل حدّثنا عن أبيك ، فقال محمّد بن سعد : لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ، قال : فأنشأ أبو عبيدة يحدّث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل بدابّة فوق الحمار ودون البغل يحملني عليه وذكر حديث المعراج . وفي هذا الخبر : ثم اندفعنا ، فقلت : من هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا موسى بن عمران ، قال : قلت : ومن يعاتب ، قال : يعاتب ربّه فيك ، قال : قلت : ويرفع صوته على ربّه ، فقال : إنّ الله قد عرف له حدّته[٢] .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسن البزّاز ببغداد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمّد بن جعفر بن محمّد الأنباري قال : حدّثنا جعفر بن

---

(١) في الأصل « الجبني » والصواب ماذكرناه .

(٢) أخرجه من طريق عبيدة ابن نعيم وابن عساكر وابن عرفة في جزئه وفيه : أنه عليه السلام اجتمع بالأنبياء وصلى بهم قبل عروجه إلى السماء والصحيح أنه اجتمع بهم في السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيا وهم معه وصلى بهم فيه ثم ركب البراق ورجع إلى مكة : وسماع عبيدة عن أبيه لايصح ولذا قال ابن كثير : إسناده غريب ، وقد تضافرت الروايات على الاجتماع بالأنبياء قبل العروج كما ذكره عياض والحافظ الشامي .

محمّد بن شاكر الصائغ ، قال : حدّثنا حسين بن محمّد ، قال : حدّثنا سفيان عن قتادة عن أنس : أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لمّا عرج بي إلى السماء رأيت إدريس في السماء الرابعة .

حدّثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى المزكى ، قال : حدّثنا محمد بن داود الزاهد أبو بكر ، قال : حدّثنا علي بن الحسين بن حيان ، قال : حدّثنا أبو حفص عمرو بن نصر بن عبد الله النيسابوري ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الله ، قال : حدّثنا مسلم بن خالد ، قال : سمعت جعفر ابن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أسري بي إلى السماء السابعة فقال لي جبريل : تقَدَّمْ يا محمّد ، فوالله ما نال هذه الكرامة مَلَك مقرّب ولا نبيّ مرسل ، فأعز إليّ ربّي أشياء ، فكلما رجعت ناداني منادٍ من وراء الحجاب : نعم الأب أبوك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك عليّ ، فاستوصِ به خيراً ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أُخْبِرُ قريشاً أنّي زرت ربّي عزّ وجلّ ، قال : نعم ، قال : تكذبني قريش ، قال جبريل : كلاّ يا محمّد فيهم أبو بكر ، وهو مكتوب عند الله الصديق ، وهو يصدقك ، يا محمد أقرىء عمر منّي السلام .

* * *

باب

ذكر الأسئلة في المعراج

مسألة : إن قال قائل : ما الذى صحّ عندكم من أمر المعراج ، أكان ذلك رؤيا رآها النبيّ صلى الله عليه وسلم أم كان ذهاباً بنفسه أو ذهاباً بروحه على ما قيل ؟

الجواب الصحيح : أنه عرج إلى السماء بجسده ، وخرج من مكّة إلى البيت المقدس ببدنه ، لما يشهد له من الظواهر . منها : قوله : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ »[1] ، فظاهر اللفظ أنه أسرى به على الحقيقة ، وصرفُ الخطاب إلى الرؤيا تركٌ للظاهر وعدول عنه من غير دليل ، ويَدلّ عليه أيضاً قوله : « لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا »[1] ، والذى يُرى فى المنام لا يكون فيه كثير آية ، ولأن حقيقة قوله « لِنُرِيَهُ » إنما يقال لما فى اليقظة . ويدلّ عليه الألفاظ الكثيرة من الأخبار التى ذكرناها . ولظاهر قوله :

---

(١) سورة ١٧ : ١ .

«عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ ٱلأَعْلَى»[1] ولقوله : « ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى »[2] ولقوله : «مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى »[3] ولقوله : « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى »[4] ولقوله : « مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى »[5] فلو كان المعراج رؤياً رآها أو كان بروحه لكان خلافاً لظاهر الذى ذكرناها . ومن قال كان الإسراء بروحه فإذا جاز على الروح وهو جسم لطيف قطع تلك المسافات الكثيرة فى شطرٍ من الليل ، فلِمَ لا يجوز ذلك على جسده ، وكل واحد منهما فعل ناقض للعادة ، فإن قيل : فما تقولون فى الألفاظ الدالة من أخبار المعراج على أنه كان ذلك رؤياً لأنه رُوى أنه قال : بينا أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول . ورُوى أنه قال : بينا أنا نائم فى الحطيم . وقال : بينا أنا نائم فى الحجر إذ أتانى آتٍ ، قيل يجوز أن ابتداء مجىء الملك إليه أنه كان نائماً أو كان بين اليقظة والنوم ، ثم صار منتبهاً بعد ذلك ، ويجوز أن يكون له عروج بجسده ، وكان قد رأى مرات أخر فى منامه ، وهذا غير مستنكر .

---

(١) سورة ٥٣ : ٥ – ٧ .

(٢) سورة ٥٣ : ٨ .

(٣) سورة ٥٣ : ١١ .

(٤) سورة ٥٣ : ١٣ .

(٥) سورة ٥٣ : ١٧ – ١٨ .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رضى الله عنه يقول : كان للنبى صلى الله عليه وسلم فى كل وقت معراج يسره ، وكان يشاهد الأشياء فى كل وقت ، وكان رحمه الله يقول إنا لم يتغير ظاهر الرسول صلوات الله عليه لما رجع من المعراج ليلة الإسراء لأن ذلك كانت له عادة ، والتغيير لأصل البداية ، فأما من تعود شيئاً فإنه لا يتغير به ، ولهذا احتاج موسى عليه السلام لما رجع من طور سينا إلى البرقع ، ولم يحتج الرسول عليه السلام. كان ذلك له أول مرة ، فتغير وتأثر به ونبينا صلى الله عليه وسلم كان قد تعود ذلك فلم يؤثر عليه ، وكان يستشهد عليه بقصة يوسف عليه السلام لما قالت له امرأة العزيز : اخرج عليهن ، فلما شاهدته النسوة قطعن أيديهن من حيرة البديهة ، ولم يشعرن ، وامرأة العزيز لم تتغير منها شعرة ، وكانت أتم فى حديث يوسف منهن ، لأن ذلك كان أول لقية لهن من يوسف فتغيرن لما شاهدنه على الوهلة ، وامرأة العزيز تعهدت لقاء يوسف فلم تتغير ، وقد قيل إن الأنوار التى ظهرت على موسى سترها البرقع ولو ظهرت أنوار الرسول عليه السلام لم يكن فى الكون شىء يسترها ، فلذلك أخفيت أنواره . وقيل ظهر النور على أبشار موسى عليه السلام وظهرت الأنوار فى إسراء المصطفى صلى الله عليه وسلم وليس من سُتر كمن شُهر . وقيل : ثلاثة من الأنبياء ظهرت الأنوار عليهم : يوسف وموسى ومحمد عليهم السلام . فأما يوسف فظهرت الأنوار على ظاهره فصار جماله سبب فتنة قوم ، وأما موسى فظهر

النور على يده فأخرجها بيضاء من غير سوء ، فصار معجزةً له . وأما المصطفى عليه السلام فظهر النور فى سره فقال : لا يسعنى غير ربى .

* * *

مسألة : فإن قيل فمتى كان المعراج ؟ قيل : اختلفت الروايات فى ذلك ، ففى بعض الروايات أنه كان قبل أن بُعث وفى بعض الروايات أنه كان بعد ذلك ، وفى بعض الروايات أنه كان فى الحجر ، وفى رواية فى الحطيم ، وفى رواية فرج سقف بيتى ، والذى عليه أكثر المفسرين أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بيت أم هانىء بنت أبى طالب ليلة الإسراء ، قيل مات أبو طالب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً ، وتوفيت خديجة بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت خديجة بثلاثة أشهر إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة ، فأقام بها شهراً ثم رجع إلى مكة فى جوار مطعم بن عدى فلما كمل له إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أسرى به من بيت أم هانىء بنت أبى طالب ، ثم أمر بالهجرة بعد ذلك ، وكان ابن ثلاث وخمسين سنة ، هذا قول القتبى وغيره .

* * *

مسألة : فإن قيل : فما فائدة المعراج ؟ الجواب : أن يقال فيه فوائد . منها ما رآه تلك الليلة عياناً من الأمور الناقضة للعادة ، وكان ذلك كله دلالات له على كمال قدرة الله ، وموجبة له قوة اليقين والمعرفة بالله ، ومنها : أنه لما كلفه الطاعات ووعد له عليها الثواب فى الجنة وتوعد على مخالفة أمره عقوبة النار ، أشهده الجنة والنار ليزداد توفر دواعيه على الخيرات وتتضاعف رهبته من ارتكاب الإجرام ، وليكون للأمة زيادة قوة وبصيرة فيما يصدقونه فيه من إخباره إياهم عن ذلك ، لأنهم عرفوا صدقه فى قوله ، بما ظهر عليه من معجزاته ، ومنها : أن الملك العظيم إذا أراد تخصيص عبدٍ من عباده وولى من أوليائه أشهده من أملاكه وخزائنه ما أخفاه عن غيره ، ليدل بذلك على تخصيصه ، كذلك الحق سبحانه لما أراد إكرام المصطفى صلى الله عليه وسلم [أطلعه على كثير] من المخلوقات ما لم يُشهده غيره تخصيصاً له وتشريفاً ، ومن ذلك : أنه لما طوى[1] له الأرض فأراه مشارقها ومغاربها ، كذلك أراه الملكوت والسموات والجنة والنار ، وما أراه تلك الليلة ليزداد به اعتباراً على اعتبار واستبصاراً على استبصار .

وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : أرسله إلى الخلق ليتعلموا منه العبادة ، وحمله إلى السموات ليتعلموا منه آداب العبادات ، قال الله تعالى :

---

(١) فى الأصل « روى » .

« مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى »[1] ويحتمل أن يقال أشهده السموات والأرضين ومن فيها ليعرفه أنه لا رتبة لأحدٍ فوق رتبته ، فيكون أبلغ فى باب كرامته . وقيل : لمّا أقامه مقام الشهادة أشهده تلك الأحوال لإزالة حشمة تلك المقامات عن قلبه ، ونفى الروعة عنه ، وحصول الاطمئنان له ، وسكون الجنان .

* * *

مسألة : فإن قيل : فهل يدل حال المعراج على أن المعبود سبحانه فى جهة فوق ، حيث رقاه إلى جهة فوق ؟[2] قيل : لا يدل على ذلك ، بل القديم سبحانه ليس له نحو ولا حد ، ولا له بالمخلوقات اتصال ولا عنها انفصال ، والسكون فى المكان فى وصفه محال ، وقد كان تعالى ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان . والذى لا آفة ترهقه ولا مسافة تلحقه . فإن قيل : فما معنى قوله : « ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى »[3] قيل قد قالوا : ثم دنا من جبريل وهو على صورته التى خلقه الله عليها ، لأنه كان يأتيه فى غير ذلك الوقت على صُوَرٍ شتى ، وإنما شاهده تلك الليلة على صورته وله ستمائة جناح إذا

---

(١) سورة ٥٣ : ١٧ .

(٢) فى الأصل « وقيل »

(٣) سورة ٥٣ : ٨ .

نشر منها اثنين ستر الخافقين ، فتدلى إليه جبريل ، لأنه من علوّ نزل إليه.
وقيل كان ذلك دنو كرامة ومنزلة ، والفرق كما يكون مرة بالمكان يكون
مرة بالمكانة . فإن قيل : فما معنى قوله : « فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
أَدْنَى »[1] ؟ قيل : منهم من قال كان بينه وبين جبريل عليه السلام قاب
قوسين ، وقيل كان بينه وبين طرف العالم مقدار قوسين ، أى لو صح أن
نخرجك من العالم أخرجناك ولكن نقلناك إلى طرف العالم ، لأنه لا بد من
اختصاصك بالإخبار لكونك من حملة الأجسام ، وقيل إنما أراد بهذا
تخصيص المنزلة والكرامة ، فكما أن من قرب بذاته من مَلِك زمانه حتى
لا يكون بينهما إلا قدر قوسين كان ذلك علامة كرامته ، وكذلك نال
المصطفى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى تلك الليلة ما فاق به أضرابه
وأشكاله[2] . وقيل إنه كان عادة العرب إذا أرادوا تحقيق منزلة وتأكيد
ألفة بينهم أن يعمد هذا إلى قوسه وذلك إلى قوسه فيلحق هذا قوسه بقوس
صاحبه فيكون ، معناه كأنهم قالوا : مالك مالى ويدك يدى وحكمك حكمى
كذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم نال تلك الخصوصية فى تلك الليلة ، ثم
قال : « أَوْ أَدْنَى » أى بل أدنى ، فإن استحقاقه الرتبة من الله تلك الليلة
فوق استحقاق رتبة الخلق بعضهم من بعض .

* * *

(١) سورة ٥٣ : ٩ .

(٢) فى الأصل « ولشكاآه » .

مسألة : فإن قيل : كان المعراج بالليل دون النهار، قيل: عنه أجوبة أحدها أنه لو كان بالنهار لكان هذا السؤال باقياً والثانى أنه لو كان المعراج بالنهار لكان مشاهداً ، ولأبصروا ذلك عياناً وأراد الله سبحانه أن يكون العلم به غير ضرورى فجعل ذلك بالليل امتحاناً للخلق ، ويقال إنا جعل المعراج بالليل ليبين بذلك فضيلة الصديق رضى الله عنه ورجحان إيمانه على تصديق الجملة ، وذلك أنه سقمت البصائر من الكل عند إخبار الرسول عن المعراج ، فتوقفوا ، ولما سمع الصديق ذلك قبل التصديق ، ومثل هذا : اضطربت القلوب عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان عمر رضى الله عنه يقول : من قال إن محمداً قد مات ضربت عنقه ، فقال الصديق من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حى لا يموت . وقد كان الصديق مخصوصاً من البصيرة بما لم يخص به غيره قال صلى الله عليه وسلم : سدوا كل خوخة غير خوخة أبى بكر ، وذلك لما فتحوا فى المسجد من كل دار خوخة . والإشارة فيه أن الصديق ليس بممنوع من الإبصار بحال ، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة[1] ، سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول

---

(١) رواه الحاكم والخطيب وابن مردويه وقد حكم عليه صاحب القاموس بالوضع ، وذكره ابن الجوزى عن جماعة من الصحابة وأعله ثم ذكره من حديث عائشة ولم يتكلم عليه ، قال السيوطى فى التعقبات : حديث عائشة رجاله

إنما قال الصديق رضى الله عنه عند إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن المعراج صدقت : لأن كل ما أخبر عنه الرسول عليه السلام أنه رآه ببصره كان الصديق رضى الله عنه قد رآه ببرّه . وجواب آخر وهو أنه لما فرض عليه صلى الله عليه وسلم قيام الليل على التخصيص جازاه عليه فى الدنيا بالمعراج فلما كان يعانيه عليه السلام بالليل جعل تلك القربة والزلفة بالليل . وقيل : إن الليل للأحباب ولأهل التخصيص ، فلذلك جعل المعراج فى الليل .

قال السرى السقطى : رأيت الفوائد ترد فى ظلم الليل .

وسمعت الأستاذ أبا على رضى الله عنه يقول : الليل لأحد الرجلين : إما للأحباب الذين هم أهل الغيرة والستر ، وإما المذنبين الذين هم أهل الخفاء أيضاً بالستر ، أنشدنا أبو عبد الله بن كوى الصوفى رحمه الله قال : أنشدنى المتنبى :

وكم لظلام الليل عندك من يد   تخبر أن المانوية تكذب

وكان الأستاذ[1] أبو على الدقاق ينشد كثيراً :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى   والحرب والضرب والقرطاس والقلم

= ثقات إلا أبا قتادة عبدالله بن واقد فمختلف فيه ، قال أحمد : لا بأس به ، وضعفه البخارى وأبو حاتم ، قال السيوطى : وهذا الطريق على شرط الحسن .

(١) فى الأصل « أبا » .

وجواب آخر : وهو أن الليل وقت غفلة الرقيب ولا شيء أشهى من رؤية الحبيب مع فقد الرقيب ، ولقد أنشدوا فى التلهف على البقاء من ذلك ، فقالوا :

وايلاى فى مشهدى ومغيبى ... وحبيب منى بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين إلا ... شرقت قبل ريها برقيب

وقال بعض الظرفاء ، فى المثـــل : إذا اجتمع المحبّان فالثالث بينهما كانون فى الصيف .

* * *

مسألة : فإن قيل : فهل كان لغير نبيّنا صلوات الله عليه وسلامه معراج ؟

قيل : الطريق إلى إثبات ذلك النقل دون العقل ، وليس فى الخبر ما يوجب القطع ، إلاّ قوله تعالى فى قصّة إبراهيم عليه السلام : « وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَـكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ »[1] جاء فى التفسير : أنه حمل صخرة بيت المقدس ورفعت الصخرة فى الهواء حتّى شاهد إبراهيم عليه السلام الملـكوت .

وقيل : إنّه شاهد ذلك الوقت إنساناً يعصى ، فدعا الله عزّ وجلّ حتّى

(١) سورة ٦ : ٧٥

أهلكه ، فاستجاب دعاءه فيه ، ثم رأى ثانياً ثم ثالثاً ثم رابعاً وهو يدعو عليهم ، فأوحى الله تعالى إليه : يا إبراهيم ، مهلاً فلو أهلكنا كلّ من رأيناه يعصى لم يُمْسِ الخلق إلاّ وقد هلك أكثرهم .

وقال بعض العلماء : لم يُرسل الله رسولاً إلى الخلق إلاّ وكان له معراج على قدر رتبته ، قالوا : وقد كان معراج موسى عليه السلام حين أفاق من صعقته بعد سؤال رؤيته ، فحمل إلى السماء الدنيا فشاهد الملائكة وقالوا له : يا ابن الْحُيّض ، مثلك من يسأل الرؤية ، فاثبتْ لرؤيتنا ، فغُشى عليه ، ثم رُفع إلى السماء الثانية ، فشاهد ملائكة ، فداخله من رؤيتهم أشدّ ما داخله من رؤية من قبلهم ، كذلك رُفع إلى سبع سموات ، ولكن لم يكن لأحدٍ من الرسل ما لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم فى معراجهم من الخصائص والرتب .

* * *

مسألة :ـ فإن قيل : فما تقولون فى الأولياء ، هل يجوز أن يكون لهم معراج ، إذا قلتم بجواز الكرامات ؟ وما تقولون فيما يطلقه الناس من هذه الطائفة من معراج أبى يزيد البسطامى وغيره ؟

قيل : أمّا المعراج بالبدن فلم يُنقَل عن واحدٍ ، ولم يُخْبَر عنه أنّه كان له ، ولا يبعد أن يقال : إن ذلك لا يكون لغير المصطفى بالإجماع ،

ولو قيل : إن ذلك فى الجواز لكان مذهباً ، وإلى وقتنا لم يخبر عن أحد أنه كان له ذلك ، فأما فى النوم فغير مستنكر أن يكون لبعض الخواص ذلك ، سمعت أحمد الطابرانى السرخسى رحمه الله يقول : كنت أرى فى ابتداء إرادتى فى المنام كل ليلة سنة كاملة أنى أُرفع إلى السماء ، وكنت أرى العجائب فى النوم . وأما حاله بين اليقظة والنوم يرى العبد أنه يُحمَل إلى السماء ويرى فى تلك الحالة العجائب فهذا معتاد معهود موجود لكثير من الذاكرين الله تعالى فى ابتداء أحوالهم ، فهذا مما لا يداخلنا فيه شك أنه يكون لأهل الذكر ذلك ، لتحققنا بذلك بطرقٍ لا يمكن جحدها .

* * *

باب

فى ذكر الخصائص التى خصّ بها نبيّنا صلوات الله عليه وسلامه فى ليلة المعراج

فمن ذلك : ما سمعت الأستاذ أبا على الدقّاق قال : إنّ موسى عليه السلام لمّا كلمه الله بعد النبوّة فى المرة الثانية وعده ثلاثين ليلة ، ثم زاد عشراً ، فقال : « وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ »(١) فبلغ الميعاد أربعين ليلة ، ونبيّنا صلّى الله عليه وسلّم أرسل إليه جبريل عليه السلام وأسرى به فى الوقت من غير وعد كان يترقّبه ، وفرق ظاهر بين من تعلّق قلبه بانتظار الميعاد إلى أن ينجز ، وبين من يصان قلبه عن الانتظار والترقّب ، ولقد قيل فى الألفاظ السائرة : قلوب الأبرار ، لا تحتمل الانتظار . ولقد أنشدوا فى هذا المعنى :

أتى زائراً من غير وَعدٍ وقال لى أصونك عن تعليق قلبك بالوعد

ومن ذلك : أنّ موسى عليه السلام لمّا أمر بحضور طور سينا كُلّف أن يحضره مشياً ، ونبيّنا صلوات الله عليه وسلامه أُرسل إليه البراق ، وليس من حُمل راكباً كمن كُلّف أن يحضرَ ماشياً .

---

(١) سورة ٧ : ١٣٨

ومن ذلك : أنّ موسى عليه السلام كُلّم على الطور ، ونوجى محمّد على بساط النور ، فهذا نودى وهذا نوجى ، قال الله سبحانه وتعالى : « وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا »[1] ، وقال فى صفة المصطفى : « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى »[2] ، ثم ما كلّم به موسى عليه السلام اطلع عليه نبيّنا صلى الله عليه وسلم فقال : « وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ »[3] ، وما ناجى به نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم لم يطلع عليه أحداً .

وقد سُئل جعفر الصادق رضى الله عنه عن معنى قوله « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى »[2] فقال : سرّ الحبيب مع الحبيب ، ولا يعلم سرّ الحبيب إلاّ الحبيب ، وفى معناه أنشدوا :

ليس من يمشى برِجْلٍ مثل من يمشى إليه

ليس من نوجى بِسِرٍّ مثل من نودى عليه

ومن ذلك : أنّه رُوى فى القصص أنّ إبليس نزل فى تخوم الأرض ، ثم خرج من موضع قدم موسى فى وقت ما كان يسمع الخطاب من الله

---

(١) سورة ٢٨ : ٤٦

(٢) سورة ٥٣ : ١٠

(٣) سورة ١١ : ١٢١

سبحانه ، فوسوس إلى موسى عليه السلام وقال : ما يؤمّنك يا موسى أنّ الذى يخاطبك غير ربك ؟ سمعت الأستاذ أبا على قال : لمّا خرج إبليس من موضع قدم موسى عليه السلام ألقاه جبريل وأماطه بعيداً ، وقال : تجسر أن تقرب منه فى هذا الوقت ، فقال إبليس : أنا لم أبالِ أن أخرجت أباه من الجنّة ، أفأبالى أن أوسوس إليه فى هذا الوقت ، ونبيّنا صلى الله عليه وسلم قال لجبريل تلك الليلة : تقدّمْ ، فقال : لو دنوتُ أنملةً لاحترقت، فمضى النبى صلى الله عليه وسلم وتقدّم على جبريل ولم يطق جبريل عليه السلام صحبته . فشتّان بين رسولٍ لم يطق جبريل صحبته وبين رسولٍ وصل إبليس إليه يوسوسه .

ومن ذلك : أنّ موسى عليه السلام لمّا قرب من بساط المناجاة أُمر بكشف القدمين ، فقيل له : « اخلع نعلَيْك إنّك بالواد المقدّس » يعنى بساط قربتنا لا يوطأنّ[1] إلاّ حافياً ، ونبيّنا صلى الله عليه وسلم قيل لخدمه : صلّوا حيثما شئتم . وقال عليه السلام : « المصلّى يناجى ربّه » ثم لو عدم المصلّى الماء أُمر بالتيمّم ، وصون[2] قدمه من التراب ، وقال عليه السلام : « جُعِلَتْ لى الأرض مسجداً وترابها لى طهوراً » وفرقٌ بين من يؤمر بحضور البساط حافياً وبين من تصان قدمه عن التراب مناجياً .

---

(١) فى الأصل « موطن » .

(٢) فى الأصل « وصان » .

ومن ذلك : أنّ موسى عليه السلام لمّا رجع من المعراج جُعِلَتْ معجزته فى عصاه ، وهى أن تصير ثعباناً يسلّطه على من لا يؤمن به ، وقيل له : ضع السيف فيمن عبد العجل من قومك ، عند منصرفه عن سماع الخطاب ، ونبيّنا صلى الله عليه وسلم أُكرم ليلة المعراج بالصلاة التى هى محلّ المناجاة مع الله ، وشتّان بين نبيّ قيل له : ماذا الذى أتيت به لأمّتك ، فيقول : ثعبان أسلّطه على من جحد أو سيف أضعه فيمن كفر ، وبين نبيّ قيل له : ما الذى أتيت به لأمّتك ، فيقول : الصلاة التى هى مناجاة الحقّ .

سمعت الأستاذ أبا على الدقّاق رضى الله عنه يقول : إنّ نبيّنا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ، فإنّ الصلاة لنا بمنزلة المعراج . وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل ، من الحرم إلى المسجد الأقصى ، ثم من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ، ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى ، فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل : القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود ، وهو نهاية القربة . قال الله تعالى : « وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » (١) .

ومن ذلك : ما سمعت الأستاذ أبا على يقول : أخبر الله تعالى عن ثلاثة من الأنبياء عليهم السلام : إبراهيم عليه السلام ، فقال : « إِنِّى ذَاهِبٌ

---

(١) سورة ٩٦ ، ١٩ .

إِلَى رَبِّى »[١] ، وأخبرنا عن موسى عليه السلام فقال : « وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا »[٢] ، وأخبر عن نبيّنا صلى الله عليه وسلّم فقال : « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ »[٣] ، فهذا قال بنفسه : « إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى »[١] ، وهذا صفة الفرق . وهذا أخبر عنه فقال : « وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا »[٢] وهو صفة الجمع ، وأمّا نبيّنا صلّى الله عليه وسلم أخبر عنه فقال : « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ »[٣] ، وهذا جمع الجمع . ثم الذى أضاف إليه المجىء فُتن قومه فى حال غيبته أربعين ليلة حتّى عبدوا العجل ، والذى أسرى به تولّى حفظه حتّى بقى أمّته بعد سنين كثيرة بعد أربعمائة سنة لو سمعوا قائلاً يتكلّم فى التشبيه دمروا أعلى داره[٤] . وهذا الفرقان بيّن .

ومن ذلك : أنّه قيل لنبيّنا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على ما ذكرنا قبل هذا تلقيناً أن يدعو به « ربّنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به واعف عنّا واُغفر لنا وارْحَمْنا » ثم استجيب فى هذه الدعوات تلك الليلة ، فقيل له : لا تمسخ أمّتك ، بل تبدّل سيّئاتهم حسنات ، ولا يخسف بأمّتك بل يخسف بذنوبهم ، ولا يمطر عليهم الحجر ، بل تنزل عليهم بدل ذلك الرحمة ،

---

(١) سورة ٣٧ : ٩٧ .
(٢) سورة ٧ : ١٣٩ .
(٣) سورة ١٧ : ١ .
(٤) فى الاصل « دمروا أعلى روحه » .

وجُعلت توبة بنى إسرائيل فى حال ذهاب موسى عليه السلام القتل ، فشتّان بين أمّة مرحومة بالعفو موصولة ، وبين أمّة بالسيف مقتولة .

ومن ذلك : أنّ موسى عليه السلام لمّا سمع المصطفى صلى الله عليه وسلم منه ما سمع من مخاطبة موسى عليه السلام ربّه فى تفضيله عليه سبّب مراجعته إليه مرات ، حتّى كان يأمر نبيّنا صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى الله مرةً بعد مرة ، كلّ ذلك تقدير لموسى عليه السلام محلّه وتخصيصه ومرتَّبه على موسى عليه السلام ، وما أظهر على موسى عليه السلام من الرضى بذلك والاستسلام لله فى ذلك . والتحقيق بزيادة رتبة نبيّنا صلى الله عليه وسلّم على الكافة ، ولقد قال صلوات الله عليه وسلامه : لو كان موسى حيًّا لما وسعه إلاّ اتّباعى ، فالأنبياء عليهم السلام إن كانوا نجوماً كان هو بدراً ، وإن كانوا بدوراً كان هو شمساً .

ومن ذلك : أنّ كلّ نبيّ ورسول من الأنبياء والرسل فله مقام معلوم وحدّ محدود ، ولكن لم يبلغ أحد منهم المبلغ الذى بلغه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، ولم ينل أحد ما ناله ، ثم أظهر فضيلته بعلوّ همّته عن جميع ما أعطاه ، فإنّه كان يقول عند كلّ ما تشهّد « التحيّات لله » يعنى الملك لله فلم يساكن بقلبه مقاماً ، ولم يستكبر بسرّه إكراماً .

سمعت الأستاذ أبا على الدقّاق رضى الله عنه يقول : « لمّا حفظ الأدب عليه السلام فى هذه اللّيلة قال الله تعالى : « إنك ـ يا محمد ـ لعَلَى خلقٍ

عظيمٍ ، طوينا[١] لك الدنيا فشاهدت مشارقها ومغاربها ، ورقيناك إلى قاب قوسين أو أدنى فلم تساكن شيئاً من الدنيا والعقبى ، فإنك يا محمّد على همّة عظيمة » .

ومن ذلك : أنّه كما عرج بجسده ففاق بنفسه كلّ مكان حتّى لم يبق بينه وبين طرف المخلوقات من جهة فوق إلاّ قاب قوسين ، فكذلك رقى بسرّه عن كلّ مخلوق حتّى قال : لو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكنّ صاحبكم خليل الله . هذا بعد أن لم ير أحداً فوق الصدّيق رضى الله عنه ، ثم إنّه لم يساكنه بسرّه .

أخبرنا أبو الحسين محمّد بن الحسين بن محمّد البغدادى ، قال : حدّثنا أبو على إسماعيل بن محمّد الصفّار ، قال : حدّثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدّثنى عبد الله بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن سعيد ابن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عُرج بى إلى السماء فما مررت بسماء إلاّ وجدت اسمى مكتوباً محمّد رسول الله وأبو بكر الصدّيق من خلفى[٢] .

---

(١) فى الاصل « روينا »

(٢) أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة ، وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفارى . نسبه ابن حبان إلى الوضع ، وأقره ابن الجوزى فى موضوعاته وتعقب: بأنه من رجال أبى داود الترمذى ، وبأن الحديث له شواهد كثيرة . من حديث=

ومن ذلك : أنّ موسى عليه السلام لمّا ذهب إلى المناجاة اختار من قومه سبعين رجلاً ، كما قال الله تعالى : « وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا »[1] ، ثم إنّه سبحانه أخبر أن السبعين أخذتهم الرجفة ، وأنّ موسى عليه السلام قال : « رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا » ثم قال : « أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ »[1] ، ثم قال الله تعالى فى جوابه : « عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ »[2] ، ثم بيّن وصفهم فقال : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ »[3] الآية . وكانت الوفادة من موسى عليه السلام والإجابة لمن تبع نبيّنا صلى الله عليه وسلّم .

أبي سعيد : أخرجه الخطيب ، ومن حديث ابن عباس أخرجه ابن شاهين فى السنة ، والخطيب أيضا ، قال الذهبي فى الميزان : سند الخطيب ثقات ولا أدرى من تعس فيه. وأخرجه البزار من حديث ابن عمر ، والدارقطنى من حديث أبي الدرداء فى الأفراد وابن عساكر من حديث أنس والبراء بن عازب ، والختلى من مرسل الحسن فى « الديباج » قال ابن عراق : وأسانيدها ضعيفة يشد بعضها بعضا فيلتحق الحديث بدرجة الحسن . والإنصاف : أن طرقه كلها شديدة الضعف لاتصلح فى الشواهد فالحديث من الواهيات وهى أشبه بالموضوعات .

(١) سورة ٧ : ١٥٤ .

(٢) سورة ٧ : ١٥٥ .

(٣) سورة ٧ : ١٥٦ .

فصـــل

وقيل : أوّل من عرج به إلى السماء من الأنبياء عليهم السلام من أولاد آدم إدريس النبيّ عليه السلام ، وكان أوّل نبيّ خطّ بالقلم ، وأوّل من ألّف حروف المعجم ، وأوّل من خاط الثياب ، وأوّل من لبس المخيط ، وأوّل من نظر فى النجوم وعلم الحساب ، كما قيل ، فإن صحّ من علوم النجوم كان ذلك بتعريف سماوىّ : أنّ الكائنات فى الأرض تحصل عند سير الكواكب على مجرى العادة ، وأنّ الله تعالى هو الخالق دون إيجاب الكواكب شيئاً من التأثيرات لا بالطبع ولا بالاختيار ، فأمّا فى زماننا فلا يعلم ذلك ، إذ لا نقل فيه يوجب العلم ، ولأنّ ذلك أيضاً عادة مستمرّة ، كما يوجب فى حصول الشبع عقيب الطعام ، وحصول التعب عقيب المشى ، وأمثال ذلك .

وقيل : كان فى أولاد إدريس عليه السلام علم ذلك باقياً إلى زمان يوشع بن نون حين حارب أهل البلقاء[1] ، وكان رجل من أولاده يقال له بالق ، وبه سُمّيت المدينة ، وكان ينظر فى النجوم ، ويحارب يوشع ، فدعا يوشع ربّه حتى أخّر الشمس ساعةً من النهار ، فاختلط الحساب على الرجل .

(١) فى الأصل « البقاء » .

وقيل إن إدريس عليه السلام كان رجلاً صالحاً فكان يُرْفَع له من العمل ما يرفع لأهل الأرض ، فعجبت الملائكة منه فاستأذن الملك الذى كان يصعد إليه عمله ربه فى زيارته ، فأذن له فقال : يا إدريس أبشر ، فإنه يرفع لك من العمل مثل ما يرفع لأهل الأرض ، فقال وما يدريك ، فقال إنى ملك وقد استأذنت ربى فى زيارتك ، فقال أولا تشفع لى إلى ملك الموت حتى يؤخر فى أجلى لأزداد العمل ، فقال له الملك إنه لا يؤخّر فى الأجل إذا جاء ، فقال قد علمت ذلك ، ولكنه أطيب لنفسى ، قال فحمله الملك على جناحه فصعد به إلى السماء فقال يا ملك الموت : إن هذا عبد تقىّ يرفع له من العمل ما يرفع لأهل الأرض ، وإنه أعجبنى ذلك وقد سألت الله تعالى أن يأذن لى فى زيارته ، وإنه يريد أن تؤخر فى أجله ليزداد الله عبادة ، فقال ملك الموت : وما اسمه قال إدريس ، فقال ملك الموت : إنه لم يبق من عمره شيء ، وقبض فى الحال روحه ، وقيل جاز إدريس يوماً من الأيام يمشى فى حاجة له فى الشمس ، فتأذى بالحر ، فقال : يا رب إنى تعبت فى ساعة واحدة من حر الشمس ، فكيف يطيق الذى وكلته بحمل الشمس ، اللهم خفف عنه ، فوجد الملك الخفة ، فسأل الله عن السبب ، فأخبره بدعاء إدريس عليه السلام فقال : اللهم ألف بينى وبينه ، فحصلت بينهما خلة ، فزار إدريس ، فقال له تشفع لى إلى ملك الموت : ثم ذكر القصة كما ذكرناه ، وقيل إن ملك الموت هو الذى زاره وأدخله النار والجنة ، بأمر الله بعد ما قبض روحه ، ثم أحياه الله . كل ذلك يسأل إدريس ملك الموت والله تعالى يأمره

أن يجيبه إليه ، ثم سأله أن يدخله الجنة ، فلما دخلها قال له ملك الموت أخرج لترجع إلى الأرض فقال : قال الله عز وجل : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ »[1] وقد ذقته قال : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا »[2] وقد وردتها . وقال : « وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ »[3] فلا أخرج منها ، فقال الله سبحانه لملك الموت دعه يلبث فيها ، فشتان بين نبي وصل إلى معراجه بحيلته ، وبين نبي أكرم على جهة الابتداء لفضل حالته[4] .

* * *

فصل

ثم عرج بإبراهيم قال الله تعالى : « وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا »[5] جاء في بعض التفاسير : أنه أراه في الدنيا مكانه في الجنة حين رأى ملكوت السموات والأرض في حال خروجه ، وقيل : أجره في الدنيا الثناء الحسن على لسان أمة محمد ، وقيل : قبول كلامه له ، وقد ذكرنا أنه رفع على صخرة

---

(١) سورة ٣ : ١٨٢ .

(٢) سورة ١٩ : ٧٢ .

(٣) سورة ١٥ : ٤٨ .

(٤) في الأصل « الفضل » .

(٥) سورة ٢٩ : ٢٦ .

بيت المقدس ، وقيل : أشرف على الخلق فلما نظر إليهم وهم يعصون قال : اللهم دمر عليهم ، فقال الله أنا أرحم بعبادى منك ، اهبط فلعلهم يتوبوا أو يرجعوا أو أستخرج من صلبهم ولداً صالحاً .

* * *

فصل

ثم بعد ذلك إلياس عليه السلام قال الله مخبراً عنه : « وإنَّ إلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ »[1] واختلفوا فى اسم البعل : فنهم من قال اسم صنم القوم ، ومنهم من قال بعل كان امرأة . وكانوا يعبدونها ، وبدعاء إلياس عليه السلام حبس عنهم المطر حتى هلكت المواشى والأنعام ، فجاءوا متضرعين فدعا فكشف عنهم . وقال اللهم خلصنى منهم واقبضنى وأرحنى ، فقيل له انظر يوم كذا إلى موضع كذا فما استقبلك فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس وخرج معه إليسع حتى بلغ الموضع الذى أمره الله ، فنفر فرس من النار حتى وقف بين يديه فوثب إلياس عليه ورجع إليسع وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار فى الملائكة .

* * *

---

(١) سورة ٣٧ : ١٢٣ — ١٢٥ .

فصل

ثم بعده معراج موسى عليه السلام حين وعده الله تعالى أن يحضر الجبل ليسمعه كلامه ، واسم الجبل الذى كلمه الله عليه زبير ، وعده ثلاثين ليلة ، وأتمها بعشر ، من ذى الحجة ، ثم أسمعه كلامه ، وكان موسى عليه السلام يسمع صرير القلم ، فكتب الله له فى الألواح ما شاء ، ثم إنه لما قال موسى عليه السلام : « أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ »[1] ، وقال الله تعالى : « لَنْ تَرَانِي وَلَـٰكِنْ اُنْظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ »[2] فلما صعق موسى عليه السلام وأفاق أمر الله تعالى الضباب حتى حمل موسى عليه السلام إلى السماء الدنيا ، فلما أبصر الملائكة وكانت النار تخرج من أفواههم عند التسبيح ، هال موسى عليه السلام ذلك ، وقال اللهم رُدَّنى إلى الدنيا ، فإنى لا أستطيع النظر إليهم ، وإن وقفت مت . ولودنوت منهم احترقت ، فقالوا له يوشك أن ترى ماهو أهول منه ، ثم رُفع إلى السماء الثانية ، فرأى ملائكة لم يستطع النظر إليهم ولا الدنو منهم ، فجعل يقول : يارب ردنى إلى السماء الدنيا فإنى لا أستطيع القيام معهم ، فلم يزل يرى ذلك فى كل سماء حتى انتهى إلى السماء السابعة ، فرأى فيها ملائكة من أناملهم إلى رؤسهم وجوه وأجنحة يسبحون الله

---

(١) سورة ٧ : ١٣٩ .

بكل لسان ، فلما رأى موسى ذلك عليه السلام قال رب قونى لما أرى ، فاستجاب الله له فقواه ، وكان هذا معراج موسى عليه السلام ، وفى بعض الروايات : أن الله سبحانه أمر جبريل حتى أتاه بتسعة أغصان من جنةعدن من سدرة المنتهى ، فصرن نورا ، وصير منه قلما فأجراه فى الألواح .

* * *

فصل

وبعد هذا معراج عيسى عليه السلام قال الله عز وجل : « قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَىَ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ »(١) قال بعض المفسرين : إنه قبض روحه ثلاث ساعات ثم رفعه إلى السماء وأحياه ، وقيل بل أماته سبع ساعات ثم أحياه بعد ما حمله إلى السماء ، وإلى هذا صار وهب وغيره ، وقال الربيع ابن أنس قوله : « إِنِّى مُتَوَفِّيكَ »(٢) أى مميتك ، وأن الله أوقع عليه النوم ثم حمله إلى السماء ، ثم أيقظه ، وقال فى الآية تقديم وتأخير ، ومعناه إنى رافعك إلى السماء ، ثم بعد نزولك إلى الأرض متوفيك . وقد ورد فى الأخبار الصحيحة : أنه ينزل إلى الأرض من السماء ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ثم بعده يموت .

---

(١) سورة ٣ : ٤٨ .

واختلف الناس فى رفع عيسى إلى السماء ، فقيل إن اليهود لما حاصروه فى بيت رفع الله السقف ورفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على غيره ، فأخذوا ذلك الإنسان وتوهموا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه ، وكان ذلك فى زمان النبوة ، فجاز فى ذلك الوقت نقض العادات. واختلفوا فى الذى وقع عليه شبه عيسى ، فمنهم من قال : كان ذلك الرجل الذى وشى بعيسى إلى اليهود ، فأوقع الله عليه شبه عيسى عقوبة له فقُتل وصُلب ، وقيل كان واحداً من أصحابه قال لهم عيسى من يرضى منكم أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب وأضمن له الجنة فرضى واحد من أصحابه بذلك فهو الذى ألقى عليه شبهه . وقيل إنه لما عرج بعيسى خاف اليهود لو أظهروا ذلك أن يؤمن به الناس . واختلفوا وموهوا على الناس وقتلوا شخصاً وقالوا إنه عيسى ، وقيل : لما أحاط بهم اليهود حولهم الله بأجمعهم على صورة عيسى حتى أشكل عليهم أن عيسى من هو ، فقتلوا واحداً[1] منهم غير عيسى ، ورفع الله عيسى عليه السلام إلى السماء ، وقيل كان معه سبعة عشر نفراً كلهم صاروا على صورة عيسى ، فقالوا لهم سحرتمونا ، فإن لم تصدقوا من منكم عيسى لنقتلنكم أجمعين . ثم إن عيسى ضمن الجنة لمن يقول أنا عيسى حتى يقتل ، فقال واحد منهم ذلك فقُتل .

---

(١) فى الأصل « واحد » .

فهؤلاء الأنبياء ، وإن كان لهم معراج نخصائص نبينا صلى الله عليه وسلم ظاهرة ، وفضيلته على الجماعة بينة .

* * *

فصل

وأقرب الأنبياء فى الرتبة من نبينا صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام فإن الله تعالى قل ما يذكر نبينا صلى الله عليه وسلم فى القرآن إلا ويذكر شيئاً من حديث موسى عليه السلام متصلا به ، نحو قوله عز وجل : « سُبحانَ الذي أسرَى بِعبدهِ لَيلاً منَ المسجد الحْرام إلَى المسجد الإقصىَ »(١) ثم قال : « وآتيْنَاَ مُوسىَ الـكِتابَ وَجَعلْنَاهُ هَدًى لبنى إسرَائيلَ »(٢) ثم قال : « وآتينَاَ مُوسىَ الـكِتاَب تماماً عَلَى الذينَ أَحسن »(٣) ثم قال : « وَهَذَا كِتَاب أنْزَلناهُ مُبَارَك »(٤) وقال فى الأنبياء : « وَلَقَدَ آتيناَ مُوسى وَهَارُونَ الفُرْقان وضِياءَوَذِكْرًا »(٥) ثم قال بعد ذلك :«وَهَذَا ذِكْرٌ

---

(١) سورة ١٧ : ١ .

(٢) سورة ١٧ : ٢ .

(٣) سورة ٦ : ١٥٥ .

(٤) سورة ٦ : ٩٢ ،

(٥) سورة ٢١ : ٤٩ .

مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ بِهِ مُنْكِرُونَ »[1] وقال فى الدخان : « أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ » ثم قال : « وَلَقَدْ فَتَنَّا قبلهم قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ »[2] يعنى موسى عليه السلام .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : إن المشايخ قالوا لو كان مثل موسى عليه السلام شخص آخر لله لكان القرآن كله ذكره لكثرة ما يكرر الحق سبحانه قصة موسى عليه السلام .

---

(١) سورة ٢١ : ٥١ .

(٢) سورة ٤٤ : ١٦ .

باب

واختلفوا فى رؤية الله سبحانه ليلة المعراج : فقالت عائشة رضى الله عنها إنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم لم ير ربّه ليلة المعراج ، حتّى قالت : من زعم أنّ محمّداً رأى ربّه ليلة المعراج فقد أعظم على الله الفرية ، وقال ابن عباس إنّ نبيّنا صلوات الله عليه وسلامه رأى ربّه ليلة المعراج ، ثم اختلفت الرواية عن ابن عبّاس ففى رواية أنّه رآه بعين رأسه ، وفى رواية أنّه رآه بقلبه ، قال أهل التحقيق من أهل السنّة : اختلافهم فى هذه المسألة دليل على إجماعهم أنّ الحقّ سبحانه يجوز أن يُرى ، لأنّه لولا أنّهم كانوا متّفقين على جواز الرؤية لم يكن لاختلافهم فى الرؤية فى تلك الليلة معنى ، فلمّا اختلفوا أنه هل رآه تلك الليلة أم لا ، فقال بعضهم رأى ، وقال بعضهم تلك الليلة لم يره ، دل أنّهم كانوا متّفقين على جواز الرؤية ، ثم إنّ ابن عبّاس رضى الله عنه قال : كما خصّ موسى بسماع الكلام كذلك خصّ محمّداً بالرؤية . وقد ورد فى ذلك أخبار من نص القرآن والأحاديث منها قوله سبحانه « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى »[1] فالظاهر يقتضى أنه رآه مرّة ، لأنه قال تعالى : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ

---

(١) سورة ٥٣ : ١٣ — ١٤ .

عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى »[١] وقوله « عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى »[٢] لئن كان النبيّ صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فى حال ما رأى هو .

ولقد رُوى فى هذا الباب أخبار ، والله أعلم بصحّتها ، فإن صحّ ذلك فلها وجوه من التأويل ، فمن ذلك ما رُوى أنّه قال : رأيت ربّى فى أحسن صورة ، وهذا الخبر يحتمل وجوهاً من التأويل : منها : رأيت ربّى وأنا فى أحسن صورة ، يعنى فى أكمل رتبة ، وأتمّ فضيلة ، وأقوى ما كنت لم يصحبنى دهش ولا رهقتنى حيرة ، ويقال : فلان لقى الأمير فى أحسن حالة ، فتعود الحالة إلى الرائى ، وهو يحتمل أن يكون معناه رأيت ربّى فى أحسن الصور التى رأيت تلك الليلة [من] قدرة الله تعالى ودلائل حكمته ، أى لم يشغلنى بشهود الصور عن ذكر المصوّر ، فالرؤية تكون بمعنى العلم ، أى رأيت الفاعل فى الفعل والصانع فى الصنع . وقيل : الصورة بمعنى الصفة ، يقال : أرنى صورة هذا الأمر ، أى صفته ، وفى معنى على ، أى رأيت ربّى على أحسن صفة من جلالة وصفه وإفضاله معى .

وقد رُوى فى بعض الأخبار أنّه قال صلى الله عليه وسلّم فوضع كفّه على

---

(١) سورة ٥٣ : ١١ – ١٣ .
(٢) سورة ٥٣ : ١٤ .

ظهرى فوجدت برد أنامله فى صدرى[١] وهذا وأمثاله إن صحّ فيكون محمولاً على استعمال الألفاظ المجازيّة ، وذلك كثير فى كلامهم ، فإنّه يقال أمور فلان بيد فلان . ولا يراد به اليد الجارحة ، ويقال فلان يعيش فى كنف فلان يراد به المعونة والنصرة ، ولا يراد به النحو والمكان ، ويقال فلان فى قبضة فلان ، ويقال وضع قدمه على هذا الأمر ونبذ هذا الحديث وراء ظهره ، وإنه لا يرفع عينه عن فلان ، وفلان خاتم فى أصبع فلان ، يقلّبه كما يريد ، ويقال فلان من معاملة فلان ، وأمثال هذه الألفاظ ممّا لا يحصى ، فكذلك قوله : وضع كفّه على ظهرى ، يريد بذلك أنه سكّن روعى ، وقوله وجدت برد أنامله فى صدرى أى : شرح صدرى حتّى فهمت ما سألنى . عنه من اختصام الملأ الأعلى . فإن قيل : فما يقولون فيما رُوى : أنه قال رأيت ربّى وفى رجليه[٢] نعلان من ذهب ، قيل هذا من

---

(١) أخرجه الخطيب من حديث أم الطفيل ، والترمذى وقال حديث حسن غريب ، والطبرانى من حديث معاذ بن عفراء والدارقطنى من حديث أنس فى الأفراد . قال ابن عراق : وجاء من حديث جابر بن سمرة وأبى أمامة وعبد الرحمن بن عائش وعائذ الحضرمى وثوبان : أخرجها ابن أبى عاصم فى السنة . وروى عن أبى زرعة الرازى أنه صححه . وقال البيهقى : روى من أوجه كلها ضعيفة ، وذكر أن ابن الجوزى ذكره مرة فى الموضوعات ومرة فى الواهيات قال ابن عراق : وما كان من هذه الروايات غير مقيد بالمنام فينبغى أن يحمل عليه لتتفق الروايات ويزول الإشكال .

(٢) فى الأصل « رجلاه » .

مناكير الأخبار ، فإن صحّ فيحمل على أنه كان فى المنام ، ويجوز فى النوم أن يرى الرائى أشياء لها وجوه من التأويل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآنى فقد رآنى ، فإنّ الشيطان لا يتمثّل (١) بى، يعنى به فى النوم ، ومن المعلوم أنه قد يراه بعض الناس كأنه على صورة شيخ ، ويراه بعضهم كأنه على صورة أمرد ، وواحد كأنه مريض ، وآخر كأنه ميّت ، وغير ذلك من الوجوه ، ثم يكون معنى الخبر أن لتلك الرؤى أجمع وجوهاً من التأويل ، لأنه صلى الله عليه وسلم موصوف بهذه الصفات أجمع ، فكذلك لو رأى أحد فى المنام ربّه على وصف يتعالى عنه وهو يعلم أنه عن ذلك منزّه لا يعتقد فى صفته ذلك لا يضرّه تلك الرؤيا ، بل يكون لها وجه من التأويل .

وقد تكلّم شيوخ الصوفيّة فى هذه المسألة : فقال محمّد بن موسى الواسطى رحمه الله : إن من رأى ربّه فى النوم على صورة شيخ عاد تأويل الرؤيا إلى صاحبها ، ومعناها يشير إلى وقاره ، وقدر محلّه فى حكمه سبحانه . قال : ومن رآه كأنه شخص ساكن كان تأويله أنه يتولّى أمره ويكفيه شأنه ، قال : والذى فى خبر المعراج : فالإشارة إلى حال الرسول أنه موقّ

---

(١) أخرجه البخارى والترمذى وأحمد عن أنس وفيه زيادة « فى المنام » قال المناوى : وهو متواتر . وروى نحوه عن جابر عند مسلم وابن ماجه وأحمد ، وعن أبى قتادة عند الشيخين وأحمد بألفاظ متقاربة .

من كل شىء ، محروس معصوم عن كل آفة ، قال : والذى فى لفظ الخبر : عليه حلّة أو كلام هذا معناه يعود إلى نضارة حاله أو كال جاهه عنده .

فإن قيل : فما تقولون فى الذى روى فى بعض الأخبار : لمّا سُئل عليه السلام هل رأيت ربك ؟ فقال : نور إنّى أراه .

قيل : إن صحّ هذا فمعناه أنّه حار بصرى فى نور مخلوق من تلك الأنوار التى أراه تلك الليلة ، فإنّ فى بعض الروايات إنّى كنت لا أرى شيئاً ببصرى فى بعض تلك المقامات وكنت أرى بقلبى ما كنت أرى ببصرى ، فيكون ذلك فى بعض الحالات ، وكأنّه أخبر أنّه لم يره فى بعض المقامات تلك الليلة ، ورآه فى بعضها .

* * *

مسألة : فإن قيل : أفتقولون رتبة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت فى تلك الليلة أعلى من رتبته بعد رجوعه من المعراج ؟ قيل : لا نقول ذلك ، لأنه صلوات الله عليه وسلامه كانت أحواله فى الازدياد أبداً ، فلم يردّ من الأعلى إلى الأدنى ، بل كان قدره عند الله سبحانه بعد رجوعه مثل ما كان فى حال ذهابه ، وقبل عروجه ، فأما زيادات يقينه فبعد المعراج كانت أوفر ، وأما أحواله بسرّه وقلبه فكانت أصفى وألطف ، ثم إنه عليه السلام لا يغيب عن مشاهدة الله سبحانه طرفة عين ، فسواء كان

فى السماء أو على الأرض فلم يكن بغيبوبة حجبته[١] عن شهود الحقّ سبحانه ، وكانت الحاضرة له كالآخرة ، ومشاهدة البقاع والأماكن وتلك العجائب ما كانت تؤثّر فى حاله ، ولا كانت توجب له غفلةً عن الحقّ سبحانه ، وإذا قال صلى الله عليه وسلم لبعض الأمّة : اعبد الله كأنك تراه[٢] . وقال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فمن المحال أن نظنّ أن يأمرهم بذلك ثم يكون حاله عليه السلام دون ما يأمرهم به .

* * *

(١) فى الأصل « بعيونه حجته » .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن زيد بن أرقم وبقيته عنده : « واحسب نفسك مع الموتى ، واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة » . وقد رمز السيوطى لحسنه ، وذلك لأنه معتضد برواية أبى الدرداء عند الطبرانى ، وبها زيادة ، وهى وإن كانت رواية ضعيفة أيضاً كما ذكره المنذرى، فإنها تتقوى بما سبق وترتقى إلى درجة الحسن .

باب

ذكر لطائف المعراج

ومن لطائف المعراج : ما سمعت الأستاذ أبا على الدقّاق رضى الله عنه يقول : إنّه عليه السلام رجع بصفة الملوك من المعراج ، وكان يقول : عشرة فى الجنّة ، وسمعته يقول : لا مقام أشرف من العبوديّة ، أخبر الله سبحانه عن ابتداء حاله فقال : « سُبْحَانَ الّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ »[1] ، ثم قال فى نهاية حاله « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى »[2] ، فعلم أنّه لا مقام أشرف من مقام العبوديّة ، وفى معناه أنشدوا :

لا تَدْعُنِى إلاَّ بيَاعَبْدَها فإنّه أصـــــدق أسمائى

وسمعته يقول : قال موسى عليه السلام : « أَرِنِى أَنْظُر إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى » وقال لنبيّنا صلّى الله عليه وسلم : « ألم تر إلى ربك » فشتّان بين نبىّ ونبىّ ، وسمعته يقول فى بعض الأخبار : إنّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال : هل ترون ربكم ؟ فقال : يا محمّد بيننا وبينه

---

(١) سورة ١٧ : ١ .
(٢) سورة ٥٣ : ١٠ .

كذا كذا حجاب[١] ، ثم لمّا قطع رجاءه ، واقتصر من شهوده[٢] تعالى بوجوده ، بدأه بالرؤية بما حقّق له منه فقال : « ألم تر إلى ربك » وكذا سُنّته سبحانه أنّه لا يبلّغ أحداً رتبةً من الرتب إلاّ على وجه الابتلاء ، وزوال التوقّع والتطلّع .

ومن لطائف المعراج : ما خصّ به أوّل حاله فى تلك الليلة بالطهارة على ما ذكرنا فى بعض الروايات فيما تقدّم : أنّ جبريل عليه السلام حمله إلى زمزم وشقّ صدره وغسل قلبه ، وقد شقّ قلب النبيّ صلى الله عليه وسلم مرّتين : مرّةً فى حال صباه وهو بعد فى حِجْر حليمة ، والمرّة الثانية ليلة المعراج . وفى تخصيص قلبه بالغسل دون غيره من البدن إشارات : منها أنّ القلب محلّ العرفان ، وهى المضغة التى بصلاحها صلاح البدن ، وهو محلّ المشاهدة ، ولكى لا يكون لغير الحقّ نصيب فى قلبه ، ولتنبيه الأمّة على طهارة القلب ، فإنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم لمّا لم يتجاوز

---

(١) ذكر أبو الحسن على بن غالب فى كتاب له عن الحجب عددا منها وعزا ذلك إلى الربيع بن مبيع فى كتابه « شفاء الصدور » من حديث ابن عباس ذكره الحافظ الشامى ، وقال : وهو كذب بلا شك . وقال القسطلانى : وتكثير الحجب لم يرد فى طريق صحيح ولم يصح فى ذلك غير ما فى مسلم . يريد ما رواه أبو موسى ، وفيه : حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

(٢) فى الأصل من ا سهوده .

عنه حتى أعيد عليه غسل قلبه مرّةً بعد أخرى ، فبالحريّ لغيره أن يصون لله قلبه .

ومن لطائف المعراج : ما روينا أنّ البراق تشامس ، واستصعب على الرسول عليه السلام حتى قال السفير ما قال . وفيه تنبيه على أنّ الحال كلما كانت أصفى كانت أشدّ قبولاً للتأثير ، قال الله تعالى : « لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً »[1] ، ثم قال : « إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ »[2] ، وفى ذلك تنبيه لغيره أيضاً ، لأنه إذا كان هو فى حبّ الأمّة لم يسامح ، فغيره أولى أن يحرس لله قصده وقلبه فلا يدنّس بمخلوق ، وفى هذا أيضاً إشارة إلى أن الحالة الصافية للعبد تتكدر بما يفعله حتّى يؤثّر فى كلّ شيء . عن[3] بعضهم : إنّى لأعرف فى كلّ شيء حالى إذا فعلت شيئاً لا يجوز حتّى فى خلق حمارى .

ومن لطائف المعراج : ما رُوى فى الخبر : أنه لـمّا ركب البراق لم يعرّج على شيء ، وكان ينادَى من يمينه ومن يساره ، ثم قال له جبريل عليه السلام : الذى ناداك من يمينك داعى اليهوديّة ، والذى ناداك من يسارك داعى النصرانيّة ، ولو التفتّ يا محمّد لتهوّدت وتنصّرت أمّتك ، فلم يعرج

---

(١) سورة ١٧ ، ٧٦ .
(٢) سورة ١٧ ، ٧٧ .
(٣) ناقص فى الأصل .

على شىء ليعلم أنّ من صحّ إلى الله قصده لم يلتفت فى طريقه إلى شىء ، قال صلى الله عايه وسلم : لو يعلم المصلّى من يناجى ما التفت . ويحكى عن الشبلى أنّه قال : كنت أمرّ ببعض الطرق ، فقال قائل : يا أبا بكر فالتفتّ ، فلم أر أحداً ، فهتف بى هاتف : من التفت هكذا أو هكذا فليس منّا .

***

فصل

وتكلّموا فى أنّه لمّا عُرج بالنبىّ صلى الله عليه وسلم إلى السماء من بيت المقدس ، وهلاّ كان ذلك من مكّة؟ فقالوا : إنّه أراد سبحانه أن يشاهد آثار الأنبياء هناك وقبورهم ، ولأنّ[1] صخرة بيت المقدس تقابل باب السماء ، ويقال : إنه أقرب موضع من الأرض إلى السماء ، وقيل : لا ينزل ملك من السماء إلى الأرض إلا على الصخرة ، ولا يصعد إلى السماء إلاّ من الصخرة ، وقيل : إنّ الله تعالى أراد أن يحشر له أرواح الأنبياء ، فسلّم عليهم وصلّى بهم ، ولأن بيت المقدس مهاجر الأنبياء والمرسلين ، فأراد الله سبحانه أن يحضره نبيّنا صلى الله عليه وسلم ليسلك به مسلكهم ، ولأنّه أراد أن يخبر قريشاً بأخبار بيت المقدس ، والعير التى رآها فى الطريق ليكون آيةً ظاهرة ومعجزةً بيّنة لهم .

---

(١) فى الأصل « ولا » .

فصـــل

وقد قيل : نزلت هذه الآية ليلة المعراج على المصطفى وهو فى مسجد إيليا بالشام ، وهو قوله : « وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا »[1] الآية فقال صلى الله عليه وسلم : معاشر الأنبياء علام بعثكم الله؟ على التوحيد لله ، فأقرّوا بالعبوديّة والتوحيد لله وأنه لا شريك له ، وقيل : نزل عليه تلك الليلة أيضاً قوله عزّ وجلّ : « فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ »[2] ، وقد تكلّم الناس فى معنى هذه الآية ، فمنهم من قال : الخطاب بقوله تعالى : « فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ »[2] للنبىّ ، والمراد منه غيره ، وقيل : لم يكن هو فى شكّ ولا سألهم ، وقيل : خاطب من شكّ فقال أيها الإنسان الشاكّ فى التوحيد سل أكابر اليهود فإنه يخبرونك من التوحيد ، وقيل : إنه لم يتوقّع صلى الله عليه وسلم أن يُرقّى إلى ما رُقّى إليه من المقام ، وأن يُخَصّ بما خصّ به من الإكرام ، فقيل له : « فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ »[2] من حالك فسل الأنبياء عليهم السلام كيف عرّفناهم حالك ومحلّك ، وكيف فضّلناك عليهم ، وقيل : « فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ »[2] من أنك أفضل الأنبياء فسلهم عن

---

(١) سورة ٤٣ : ٤٤ .

(٢) سورة ١٠ : ٩٤ .

عن أحوالهم لتعرف مزيّتك وخصوصيّتك عليهم . وممّا يؤيد هذا التأويل تقدمه عليه السلام على جميع الأنبياء فى الإمامة ، حيث صلّى بهم ببيت المقدس ركعتين ، ثم كان يستفتح له جبريل فى كلّ سماء باباً لم يفتح لغيره ولم يسلكه سواه ، وسمع من تحيّة أهل كلّ سماء مالم يسمع غيره صلوات الله عليه وسلامه (١) .

وقد روى فى بعض الروايات أنه لقى أرواح الأنبياء عليهم السلام روح إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام تلك الليلة ، فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتّخذنى خليلاً وأعطانى ملكاً عظيماً ، وجعلنى أمة قانتاً يؤتم بى ، وأبعدنى من النار ، وجعلها علىّ برداً وسلاماً . ثم قال موسى عليه السلام : الحمد لله الذى كلمنى تكليماً ، وجعل هلاك فرعون على يدى ، ونجّى بنى إسرائيل على يدى ، وجعل من أمّتى قوماً يهتدون بالحق وبه يعدلون . ثم قال داود : الحمد لله الذى جعل لى ملكاً عظيماً ، وعلّمنى الزبور ، وألان لى الحديد ، وسخّر الجبال يسبّحن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب . ثم قال سليمان : الحمد لله الذى سخّر لى الرياح ، وسخّر لى جنود الشياطين ، يعملون لى ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات ، وعلّمنى منطق الطير ، وآتانى ملكاً عظيماً لا ينبغى لأحد من بعدى ، ليس على حساب .

---

(١) فى الأصل « وسلم » .

ثم قال عيسى : الحمد لله الذى جعلنى كلمةً منه ، وعلّمنى الكتاب والحكمة ، والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى بإذن الله ، ورفعنى وطهّرنى ، وأعاذنى من الشيطان ، وأعاذ أمّى . ثم إن نبيّنا قال : كلّكم قد أثنى على ربّه ، وأنا أثنى على ربّى : الحمد لله الذى أرسلنى رحمةً للعالمين كافّةً للناس بشيراً ونذيراً ، أنزل علىّ الفرقان فيه بيان لكلّ شىء ، وجعل أمّتى خير أمة أخرجت للناس ، أمة وسطاً ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنّى وزرى ، ورفع ذكرى ، وجعلنى فاتحاً وخاتماً ، فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمّد صلى الله عليه وسلّم .

* * *

باب

فى ذكر ما قال شيوخ المتصوّفة فى ذلك

قال ابن عطاء فى قوله : « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ »[1] طهّر مكان القربة وموقف الدنوّ عن أن يكون فيه تأثير لمخلوق ، فقال : « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ »[1] أسرى بنفسه ، وسرى بروحه ، وسير بسره ، فلا السرّ علم ما فى الروح ، ولا الروح علم مشاهدة السرّ ، ولا البدن عنده شىء من خبرها ، وماهما فيه وكلّ واقف مع حدة ، مشاهد للحق ، متلقّف منه بلا واسطة ولا بقاء بشرية بل حق محقق بعبده فحققه وأقامه حيث لا مقام ، وخاطبه وأوحى إليه ما أوحى ، جل ربنا وعز . قال الأستاذ الإمام : هذا الفصل من كلامه يوهم أن السر كُلِّف ما لم يكلف الروح ، أو الروح أُمر بما لم تؤمر به النفس ، وليس كذلك ، فإن هذه الجملة سخر بعضها لبعض ، والجملة إنسان واحد ، ومكلف واحد ، وكما أن محل البصر اليوم العين والرائى هو الجملة ، ومحل الشم هو الأنف والشّامّ هو الجملة ، فكذلك محل المشاهدة هو السر ، ومحل المحبة الروح ، ومحل المعرفة القلب ، ثم المشاهد المحب العارف هو العبد ، فالحكم يعود إلى الجملة ، وكل جزء يختصّ بمعنى ، فالجزء الذى فيه المحبة لا شهود فيه ، كما أن الجزء

---

(١) سورة ١٧ : ١ .

الذى فيه إدراك البصر ليس فيه إدراك السمع فهذا معنى قول ابن عطاء فلا السر علم ما فى الروح قال بعضهم : أسقط الحق سبحانه جميع الاعتراضات عن المعراج بقوله : « أَسْرَى » ولم يقل سرى ؛ إذ القدرة والربوبية لا عجب فيها ، ولا تعجب منها . وقال النورى شاهد الحق القلوب فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب محمد فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة، فلما أهل لذلك المشهد العظيم ضعفت الأكوان فى عينه ، حتى لم يلتفت إلى شىء ، ولم يستحسن شيئاً ، ولم يعظّم شيئاً . وقال أبو يزيد البسطامى : حفظ النبي صلى الله عليه وسلم طرفه فى المسرى فما زاغ البصر وما طغى ، لعلمه بما يؤهل له من المشاهدة ، فلم يشاهد فى ذلك شيئاً ولم يعر طرفه أحداً ، ثم لما رد إلى محل التأديب نظر إلى الجنة والنار ، والأنبياء والملائكة ، للإخبار عنها ، وتأديب الخلق بها ، فالمقام الأول مقام خصوص والمقام الثانى مقام عموم . وقال بعضهم : استصغر الحوادث بعد المسرى ، ومتى تعظم الفروع فى مقابلة الأصول ومتى يثبت الحدث فى مقابلة القدم .

وقال الحسين بن منصور : لما دنا السفير الأعلى من الحق فى المسرى أيده ، فقال : « سَلْ تُعْطَ » فقال ماذا أسأل وقد أُعطيت ، وماذا أبتغى وقد كُفيت ، فنودى إنك لعلى خلق عظيم ، حيث نزهت بساطنا عن طلب الحوائج ، وأُعطى إدراك البرهان ، وأطلق له فى الحكم لمن شاء بإحدى الدارين ، فرجع إلى مشهد الأصحاب وحكم لعشرة من قريش بالجنة .

وقال الواسطى : أُلهِم النبي صلى الله عليه وسلم الثناء لما كوشف له من عظيم قدر الله وجلاله ما لم يكشف لغيره ، فعلم أن ثناءه لا يقابل وصف الحق وأن أقوال الخلق وإن علت فعلى محل أقدارهم ، فرد الثناء إلى الحق ، ورجع بالكلية إليه ، لعلمه بأن قدره لا يقدره سواه .

وقال أبو سعيد الخراز : كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن أسرى يتوهم ويظن ، وكذلك فعل الحق إذا غلب على صفات العبد ، يعنى بتوهمه وظنه ما يكون من أفعاله ، فأما ما كان معرفة بذاته و ... [١] .

فقد كان صلوات الله عليه وسلامه على بصيرة فيه . وسئل بعضهم : لِمَ انبسط النبي صلى الله عليه وسلم فى عرصات القيامة عند خمود الأنبياء ، فقال : ذلك لأن كل طرف لم يكتحل بمشاهدة الحق يتحير فى أوان التجلى ، وكل لسان لم ينبسط بمكالمة الحق فى القرب والدنو يعجز عن السؤال عند ظهور الهيبة . ولما خص النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بالمشاهدة ، وانقباض حيرة المكالمة ، فانبسط فى الشفاعة والسؤال .

وقال أبو عثمان رحمه الله : هون عليه سكرات الموت ما رأى من لطف ربه فى المسرى ، فقال الرفيق الأعلى ، لما خير : أى فهل يختار من شاهد ما شاهدت إلا الرفيق الأعلى الذى أدنانى وقربنى ؟ وسئل أبو عثمان عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك » فقال : ما زال

---

(١) بياض بالأصل .

النبي صلى الله عليه وسلم داعياً ومثنياً على ربه فلما[1] دنا فى[1] المسرى وشاهد ما شاهد من عظمته استحيا مما أثنى ودعا ، فرجع إلى لسان العجز ، وقال لاأحصى ثناء عليك. وسئل الشبلى : كيف ثبت النبى صلى الله عليه وسلم فى المعراج للقاء والمخاطبة ؟ فقال : إنه هىء لأمرٍ فَمُـكِّن فيه. وسئل الواسطى : كيف كانت حالته صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ؟ فقال : ألبسه الله لباس نعته ، وأذن له فى المشاهدة ، وخاطبه بالمكافحة ، ومعنى هذا : أنه ألبسه لباساً يصلح لنعته ، أى لشهود وصفه ، يعنى: قوّاه وثبّته لما خص به وأهله. وقيل ليوسف بن الحسين : بماذا[2] أطاق النبى صلى الله عليه وسلم فى المعراج المشاهدة ؟ فقال : بما لم يزل يَرِد عليه من بر الحق به على الدوام فمكنه ذلك من مشاهدة البارّ . وسئل الواسطى : ما الحكمة فى المعراج؟ فقال : أراد الله أن يرفع حال الحبيب صلى الله عليه وسلم من محل العبودية إلى محل الأزلية، ومن محل الربوبية . . .[3] صلى الله عليه وسلم فى محل العبودية ليظهر آداب العبودية للأمة ، ثم نقله إلى محل الأزلية ليتأدب به من هو فى ذلك المقام ، ثم نقله إلى مقام الربانية ، وهو المعراج الذى أسرى به إليه فأزيل عنه إدراك المقامات والرسوم ، ونقل إلى الحال التى خلق لها من الدنو والقربة .

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) فى الأصل « ثم إذا » .

(٣) بياض بالأصل . ولعله « فوضعه » .

قال الأستاذ الإمام رضى الله عنه : وفى هذا القول غموض من وجوه ، ويجب أن يعلم : أن الأزلية والربوبية صفة الحق سبحانه ،وليس لصفته محال ولا لأحدٍ معه فى نعوته اشتراك ، ومعنى هذا الكلام : أنه أثبته فى صفة العبودية وهو بمعانقة الطاعات ، ومفارقة الزلات ، فتعلم منه الأمة ذلك وتأدبوا به ، ثم قوله نقل إلى محل الأزلية : يعنى ربط قلبه بشهود الأقدار ، وما سبق به القضاء والتقدير من الحق فى آزاله فما علمه فى الأزل ، وأراده وأخبر عنه هى السعادة والشقاوة ، فإن الأمور بالمقادير والسوابق ، لا بأعمال العباد واللواحق ، وقوله : ثم نقله إلى محل الربوبية : يعنى شغله عن الإحساس بأحوال المخلوقات والكائنات عن العدم بما غلب على قلبه من استيلاء ذكر الله سبحانه ، وما ذكر فى وصفه من الدنو والقربة : فهو بعده عن الإحساس بحال نفسه، واستيلاء ذكره سبحانه عليه ، فابتداء القرب من الله قرب الكرامة واللطف ، وشهادة بعد العبد عن الإحسان بنفسه غيبته عن ذكر المخلوقات ، واستيلاء ذكر الحق عليه واستغراقه بل استهلاكه فى حقائق وجوده . وسئل بعضهم : لِمَ سجد النبى صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى ؟ فقال : لأن فى السجود رؤية اليقين ، وإظهار العبودية ، وتعظيم الحق ، وكان هو فى محل الفناء من أوصافه لغلبات سلطان الحقيقة عليه عند مشاهدة الحق ، فأنى يكون له التفات إلى السجود أو فراغه ، يشير هذا القائل إلى كونه صلى الله عليه وسلم مأخوذاً عن إحساسه بحاله ، بما غلب عليه من شهود جماله ، ووجود جلاله . وقال رويم : لما أكرم محمد صلى

عليه وسلم بأعظم الشرف فى المسرى علت همته عن الالتفات إلى الآيات والكرامات والجنة والنار : فـ« مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ »[١] أى ما أعار طرفه شيئاً من الأكوان ، ومن شاهد البحر استقل الأنهار ، والأودية . وقال بعضهم : أراد الله أن تشرق[٢] السموات بنور محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أشرقت الأرض بنوره ، فعرج به إلى السماء . وقال بعضهم : أكمل الله بحضور محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج خصائص المسجد الأقصى ، فإن الله قد أكرم تلك الجنة بكون الأنبياء عليهم السلام بها ، فأكمل بالمصطفى ما أكرمها بالأنبياء عليهم السلام ، وقال بعضهم : لما قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا بك » كان الجواب له « إن كنت بى فأنا لك » فإن الباء واللام تتعاقبان . وقال الحسين بن منصور : البشرية لا تعجز عن مشابهة شكلها من الحدث ، وإذا ظهرت الربانية فنيت أحكام البشرية ، ألا ترى أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما ظهر بلبسة الإلٓهية كيف عجز جبريل عليه السلام مع عظم محله ، من رؤيته وصحبته ، فقال لو دنوت أنملة لاحترقت ، هذا اللفظ لو أخذ بظاهره لأوهم كل خطأ ، ومعنى قوله : لما ظهر بلبسة الإلٓهية أراد بما خصه به الحق سبحانه من الحال التى يتقاصر عنها مستطاع البشر ، فإن حد ما يقدر عليه الخلق معلوم ، وإذا تجاوز ذلك تقاصر عنه

---

(١) سورة ٥٣ : ١٧ .

(٢) فى الأصل « يشرف » .

رتب المخلوق ، وحاشا أن يتصف محمد وإن جلت رتبته بنعت هو من نعت القدم ، ولكنه اختص بكرامة هى من صرف تقدير الآله دون أن يمكن بشر تحصيله بالاكتساب . ولقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فى صفة أصحاب الكهف: « لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً »(١) ولقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ورد فى صفته الأثر : بحيث إذا استقبله الشيطان كان الشيطان يخر له ، سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : عمر كان عمر من حيث البشرية،وإنما كان يخر[له] الشيطان لمعنى خصه الحق سبحانه به من أنوار كانت تظهر عليه . وأشار إلى لطائف إفراده بها بقدرته ولم يشر به إلى معنى قديم ، فإن المعانى القديمة لا يجوز اتصالها بالأعيان الحادثة .

وقال أبو سعيد الخراز : أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالدعاء بقوله : « وَقُلْ ربِّ زِدْنِي عِلْماً »(٢) وكان قد أوتى من العلوم بالوسائط والسفراء فلما أجرى على لسانه هذا الدعاء استجيب له ذلك من غير تميز منه ولا طلب، بل لإظهار فضله ، فعرج به إلى المحل الأدنى والمقام الأرفع ، حيث انقطع عنه علوم الخلق أجمع ، فصار فى محل الدنو يخاطِب ويُخاطَب من غير واسطة

---

(١) سورة ١٨ : ١٧ .

(٢) سورة ٢٠ : ١١٣ .

كفاحاً ، فأيد فى ذلك المقام بالثبات ، وأكرم بزيادة العلوم التى لم يعلمها أحد من الخلق ، وذلك المقام أشبه شيء عندى بالمقام المحمود ، لأنه سر بينه وبين حبيبه لم يُطلع عليه أحداً . وسئل الواسطى عن دنو النبى صلى الله عليه وسلم فى المسرى فقال[١] : خرج من نفسه ودنا منه إليه ، فتدلى ، فما زالت الحجب تتدلى عن محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى وصل إلى ما أشار إليه من قوله : « فكان قاب قوسين أو أدنى »[٢] وذلك بقوة الأنوار التى ألبس فى حال مسيره ، ولولا ما حُلى به من وقع الصفة عليه والتأييد بالأنوار المخصوصة لاحترقت أنوار ذلك المقام ، حيث لم يطق جبريل عليه السلام الدنو منها لما عرى محل ما ألبس الحبيب صلوات الله عليه وسلامه. يشير بهذا إلى ما خصّه الله من القوّة والثبات ، وتحقيق النصر ، وعنى بالبعد بعده عن أحكام البشرية ، وعنى بذكر وقوع الصفة عليه وجود اللطيفة فى قلبه من البصائر والمعارف .

وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : من توهّم أنّه بنفسه دنا ، جعل ثَمّ مسافةً ، إنّما التدلّى أنه كلّما قرب منه بعده عن أنواع المعارف إذ لا دنوّ ولا بعد ، فكلّما دنا بنفسه تدلى بعداً ، فانقلب فى الحقيقة خاسئاً وهو حسير ولا سبيل إلى مطالعة الحقيقة . وقال الجنيد : خُصّ محمّد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج

---

(١) فى الأصل « فقد » .
(٢) سورة ٥٣ : ٩ .

بلبسة عجز عنها جبريل فقال : لو دنوت أنملةً لاحترقت ، وتلك اللبسة أنّه غمره فى أنواره ، وأخلاه من جميع صفاته ، وحلاّه وزيّنه بأنوار صفاته ، فأطلق الهجوم على الكلام ، والمشاهدة والمراجعة ، والتلقّف من الحقّ بالتحيّات ، فقابله الحقّ بالتحيّات أجمع ، لا تحيّةً واحدةً ثم لقّنه ، بأن قابل الحقّ بمثله ، فقال : بل التحيّات لله ، لأنّك أهل لذلك ، والمباركات والطّيبات لله . أراد الجنيد بقوله : زيّنه بأنوار صفاته صفات لطفه ، التى خصّه بها ، وكذلك : إشارة الجميع فى هذا الباب إلى أفعال يخصّ الحقّ سبحانه بها من يشاء من أوليائه ، وكما لا يجوز حدثان بالذات القديمة فلا يجوز قيام صفة قديمة بذات حادثة ، والموصوف بالصفات القديمة الذات القديمة . وقال ابن منصور : قال الخليل عليه السلام : منك إلىّ . فابتلاه بالنار ، وقال الكليم : منّى إليك فابتلاه بالبحر ، وقال محمّد صلى الله عليه وسلم منك إليك فأكرمه بالمعراج . وقال أبو سعيد القرشى : تجلّى الله سبحانه لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بصفة الكرم والجمال ، فكلّمه بالإيناس عند سدرة المنتهى وقابله بالبرّ واللطف ، فزاد بالناس برًّا ولطفاً ، ورأفةً وشفاعةً ، وكشف لموسى عليه السلام بصفة الهيبة والجلال ، فزيد غلظاً وشدّةً . وقال أبو محمّد الجريرى : لمّا نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الحقّ بالحقّ رأى الحقّ بالحقّ ، فبقى مع الحقّ بالحقّ بغير زمان، وعُرّى[1] عن

---

(١) ناقص فى الأصل

أوصافه بأوصاف الحق فلم يكن له فى تلك الحال نفس ولا علم ، ولا زمان ولا بيان ، حتّى ردّه إلى صفته وعُرّى ظاهره من الأنوار التى سدل عليه ، وأسدى إليه ، فردّ الشبح[١] إلى وصفه لقيامه بحقوق رسالته ، يريد بهذا الخطاب : أنّه اختطفه عن إحساسه بنفسه ، وأحواله بما غلبه عليه من بوادر شهوده . وهذا هو عين الجمع الذى أشار إليه القوم مرّةً بالجمع ، ومرّةً بالمحو ، ثم ردّه إلى التميز والإحساس بالكون ، وهذا هو الذى قالوا عين الفرق ، وهو نعت المحو . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمى رحمه الله يقول : سمعت النصرآباذى رحمه الله يقول : كان من خصائص الصلاة : أنّ الله سبحانه أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بها بلا واسطة ، وعبادة يكون الأمر بها بلا واسطة لها مزيّة على ماتكون بمزية الغير .

(١) فى الأصل « الشيخ »

باب

تفسير قوله « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى »(١)

هذا قَسَم ، والقول فيه وفى أمثاله من القسم بالأفعال فى القرآن واحد ، وهو أنّه يحتمل أنّ المعنى إضمار الربّ ، أى وربّ النجم ، والثانى بإضمار القدرة ، أى وقدرته سبحانه على النجم ، والثالث أنّه قسم بالنجم على جهة التشريف له ، لما أقسم الله تعالى ذكره به . واختلف المفسّرون فى معنى « النجم » ها هنا . فمنهم من قال : أراد به جنس النجوم « إذا هوى » إذا سقطت ، يعنى فى القيامة : قال الله عزّ وجلّ « وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ »(٢) أصل النجم : من الطلوع ، يقال نجم القرن ونجم السنّ ، والنجم أيضاً من النبات ما لا ساق له والشجر ما له ساق ، قال الله تعالى « وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ »(٣) ، وقيل أراد بالنجم ها هنا الثريّا ، والعرب تسمّى الثريّا النجم ، وكانوا يعظّمونه ، وكانت لهم رحلتان فى الشتاء والصيف عند ظهور الثريّا ، وغيبوبته ، وقيل المراد بالنجم ها هنا نجوم القرآن ، وكان القرآن ينزل نجماً نجماً ، وقال بعضهم : النجم ها هنا المصطفى

---

(١) سورة ٥٣ : ١ .
(٢) سورة ٨٢ : ٢ .
(٣) سورة ٥٥ : ٥ .

صلى الله عليه وسلم ، شبّهه بالنجم فى تلألؤ أنواره « إذا هوى » يعنى حين منصرفه من المعراج ، وهو كما سمّاه سراجا فى موضع آخر . وقال بعضهم : النجم قلب المصطفى صلّى الله عليهِ وسلّم « إِذَا هَوَى »[١] يعنى انقطع عن جميع ما سوى الله تعالى . وقال ابن عطاء : أقسم بنجوم المعرفة وضيائها ، سمعت الأستاذ أبا على الدقّاق يقول : إنّما أقسم برجوعه من المعراج ، لأنّ رجوع الأحباب من عند الأحباب له وصف آخر ، وإن كان الحقّ سبحانه لا يجوز عليه المسافة ولا القرب بالمكان ، ولا كان لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم غيبة عنه عند الرجوع ولا نقصان فى الحال ، ولكن على حسب ما اعتاده الخلق ، وتعلّق به فهمهم ، وقوله « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ »[٢] يعنى المصطفى صلى الله عليه وسلم « وَمَا غَوَى » فهذا هو جواب القَسَم ، ومعناه : ما ضلّ عن التوحيد قط ، وما زاغ عن المعرفة بالله سبحانه . وفى نفيه سبحانه الضلال عن نبيّه عليه والسلام وتأكيد النفى بذكر القسم تخصيص له وتفضيل على غيره من الأنبياء عليهم السلام فإنّ نوحا النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا قيل له « إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ »[٣] قال « يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ » فنفى بنفسه عن نفسه الضلالة ، وهودا عليه السلام لمّا

---

(١) سورة ٥٣ : ١ .

(٢) سورة ٥٣ : ٢ .

(٣) سورة ٧ : ٥٨ .

(٤) سورة ٧ : ٥٩ .

قيل له « إنَّا لَنَرَاكَ فِى سَفَاهَةٍ[١] » قال « يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ »[٢]
ولمّا قال فرعون لموسى « إنِّى لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً »[٣] قال موسى
« لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلاَءِ إلاَّ رَبُّ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ
وَإِنِّى لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً »[٤] وغير هـذا ، ونبيّنا صلى الله
عليه وسـلم لمّا رُمى بالضلالة والغواية نفى الله عنه بقوله « مَا ضَلَّ
صَاحِبُكُمْ »[٥] وكذلك قوله « نٓ والْقَلَمِ وَمَا يَسطرُونَ مَا أَنْتَ بِنَعْمَةِ
رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ »[٦] وقال ابن عطاء : مَا ضَلَّ عن الرؤية طرفة عين ؛
وها هنا سؤال ، يقال : كيف الجمع بين قوله « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ
وَمَا غَوى » وبين قوله « وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى » والجواب عنه:أن
الذى نفى عنه هو الضلال عن الدين ، والذى أثبت هو أنّه ضلّ فى حال صباه
مرّةً فى شعاب مكّة ،وكان عبد المطلّب يطلبه ، وكان قد تعلّق بأستار الكعبة
وهو يقول : ردّ على ولدى محمّداً ، ردّه إلىّ واصطنع عندى يداً ، فوجده

---

(١) سورة ٧ : ٦٤ :
(٢) سورة ٧ : ٦٥ .
(٣) سورة ١٧ : ١٠٣ .
(٤) سورة ١٧ : ١٠٤ .
(٥) سورة ٥٣ : ١ .
(٦) سورة ٦٨ : ١ — ٢ .

أبو جهل فردّه على عبد المطّلب ، ومَنَّ الله تعالى عليه حيث خلّصه على يدى عدوّه ، وقيل : كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى سفر مع أبى طالب فى طريق الشام للتجارة لخديجة ، فأخذ الشيطان بزمام ناقته وعدل به عن الطريق فبعث الله عزّ وجل جبريل حتَّى نفخ فى الشيطان وألقاه على بعد منه . فهذا معنى قوله « وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى »[1] يعنى عن الطريق . فهداك إلى الطريق ، وقال الزجّاج : معناه : وَوَجَدَكَ ضَالاًّ عن أحكام الشريعة ، كما قال « مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ »[2] وقال الفرّاء : معناه وجدك بين قوم ضُلاّل هداهم بك ، وقيل : وجدك ضالاّ لقومك لا يعرفونك فهداهم إليك حتَّى عرفوا أنّك نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ضَالاّ فى محبّتنا ، كقوله « إِنَّكَ لَفِى ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ »[3] يعنى من محبّة يوسف عليه السلام ، وقيل : غافلاً عن النبوّة ، وقيل ناسياً للاستثناء ، وقال الجريرى : ووجدك متردّداً فى غوامض معنى المحبّة ، فهداك بلطفه إلى ما رمته فى ولهك ، وقال بندار بن الحسين : كنت قائماً مقام الاستدلال ، فتعرّفتُ إليك ، وأغنيتك بالمعرفة عن الشواهد

---

(١) سورة ٩٤ : ٧ .

(٢) سورة ٤٢ : ٥٢ .

(٣) سورة ١٢ : ٩٥ .

والأدلّة ، وقوله : «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى»[١] يعنى بالهوى ، والباء تقوم مقام عن ، قال الشاعر :

فإن تسألونى بالنساء فإنّنى بصير بأدواء النساء [خبير]

أى : فإن تسألونى عن النساء ، وقال الله تعالى « فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً »[٢] أى فسل عنه خبيراً . وفى هذه مزّية للمصطفى صلوات الله عليه وسلامه حيث نفى عنه أن ينطق عن الهوى. وقال لداود عليه السلام « فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى »[٣] وفرق بين من يُنهى عن الهوى وبين من يُنفى عنه متابعة الهوى . وقوله « إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »[٤] يعنى ما هو — يعنى القرآن — إلاّ وحى يوحى إليه ، فلم يذكر إليه لدلالة الحال عليه ، وما شاكله رؤوس الآى ، والوحى : إلقاء المعنى فى النفس فى خفاء على وجه السرعة ، ثم اشتهر هذا الاسم فى إلقاء الملَك الرسالة إلى الأنبياء صلوات الله عليهم ، وقوله « عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى »[٥] يعنى به جبريل ، والقوى جمع قوّة ، والقوّة هى القدرة ، وهى الصفة

---

(١) سورة ٥٣ : ٣ .
(٢) سورة ٤٥ : ٦٠ .
(٣) سورة ٣٨ : ٢٥ .
(٤) سورة ٥٣ : ٤ .
(٥) سورة ٥٣ : ٥ .

التى يتمكّن بها من الفعل ، وأصله من : قوى الحبل ، وهى طاقاته . والله سبحانه خصّ جبريل عليه السلام بالقوة . وفى الأثر : أنّه قلع مداين لوط وقلبها . وقوله « ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى »(١) المرّة : الطاقة والقوّة ، من قولهم : أمررت الحبل إذا أحكمت فتله ، وهو نعت شَديد القُوى ، وقيل ذُو مرَّةٍ : ذو خلق عظيم حسن . وقوله « فاسْتَوى » يعنى جبريل ، « وهو بالأفق الأعلى » يعنى استوى فى الصورة التى أنشأه الله عليها بالأفق الأعلى . وإنّما رآه النبى على تلك الصورة مرتين ، وكان يراه قبل ذلك على صورة رجل ، قال الله تعالى « وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرى »(٢) وقال بعضهم : فَاسْتَوى محمّد وكان بالأفق الأعلى ، وهذا ضعيف ، لأنّه لا يقال استوى وزيد ، بل يقال : استوى هو وزيد ، وآفاق السماء : نواحيها ، يعنى استوى جبريل فى حال كونه بالأفق الأعلى . وقوله « ثُمَّ دنَا فَتَدَلّى »(٣) قيل ثم دنا جبريل من محمد ليلة الإسراء ، وتدلى أى نزل من العلوّ إلى محمد ، وأصل التدلى النزول . قال لبيد :

فتــــــدلّيت عليه قافلاً   وعلى الأرض غيابات الطَّفَل

---

(١) سورة ٥٣ : ٦ .

(٢) سورة ٥٣ : ١٣ .

(٣) سورة ٥٣ : ٨ .

وقيل : المراد من قوله «فتدلّى» أى قرب ، لأنّ من تدلّى إليك فقد قرب منك ، كأنّه قال : ثم دنا منه جبريل فدنا ، يعنى قرب ، ثم زاد فى القرب ، وقيل : دنا محمّد من ربه دنوّ منزلة وكرامة ، فتدلّى فزاد قرباً ، كما قلنا ، ويقال تدلى : أى فهوى للسجود ، وقال بعضهم : تدلى أى تدلّل ، كما قال الشاعر :

تقضى البــــازى إذا البازى كسر

أى تقضّض البازى ، وهذا يضعف فى المعنى ، لأن التدلّل ليس من صفات العبودية ، اللهم إلا تحمل على وقت البسط والتقريب . وقوله : « فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى »(١) القاب والقيب والقاد والقيد : القدر ، وقد مضى معناه فيما تقدم ، وإنه يحمل على قرب الكرامة . قيل إنه من الحق ، أو يقال كان قريباً من جبريل ، وهو على صورته . وقوله « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى »(٢) يعنى به ليلة المعراج ، أوحى جبريل إلى محمد عبد الله ما أوحى . وقيل : أوحى إليه ما أوحى ، فمنهم من قال : إنه مجمل المعنى لم يبيّنه . وعن جعفر أنه قال : سرّ الحبيب مع الحبيب ، ولا يعرف سر الحبيب إلا الحبيب ، سمعت الأستاذ أبا على الدقّاق يقول : أخبر المصطفى عن أسرار الأولين والآخرين ، وذكر له قصّة جميع الأنبياء ،

---

(١) سورة ٥٣ : ٩ .

(٢) سورة ٥٣ : ١٠ .

فقال : « وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ »[(١)] وجاءك فى هذه الحق ، ولم يذكر من قصّته لأحد شيئاً ، فقال : « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى »[(٢)] وفرق ظاهر بن من سُتِروبين من شُهر ، وقال بعضهم : معنى قول « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ » هو قوله : أَلَمْ أَجِدْكَ يتيما فآويتُكَ ، أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالاً فهديتُكَ ، أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلاً فَأَغْنَيْتُكَ ، وقيل معناه : خصّصتك بالحوض والكوثر ، وقيل أهل الجنّة أغناهم بالماء ، ولهم الخمر واللبن والعسل ، وقيل أوحى إليه : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ »[(٣)] إلى آخر السورة . وقوله« مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»[(٤)] أى ما كذب فؤاد محمد ما رأى بصره ، بل آمن بجميعه ، وقيل ما كذب فؤاده قبل ذلك ما رآه تلك الليلة من الآيات ، وقيل ما كذب فؤاده قبل ذلك ما رآه ببصره تلك الليلة ، وهو رؤية الحقّ سبحانه « وقرىء مَا كَذَّبَ » بالتشديد .

وقال ابن عطاء : ما اعتقد القلب خلاف ما رآه بعينه ، يعنى قبل أن رآه ، وقيل : إنه إخبار عن حال محوه فى حال رؤيته ، وأنه لم يصحبه خبر

---

(١) سورة ١١ : ١٢١ .
(٢) سورة ٥٣ : ٣ .
(٣) سورة ٩٤ : ١ .
(٤) سورة ٥٣ : ١١ .

مما كوشف به من الشهود ، وقوله تعالى : « أَفَتُمَارُونَهُ »[1] أفتجادلونه على ما يرى ، على اختلاف ما ذكرنا من رؤيته لجبريل والآيات ، ورؤيته لربه وقرىء أفتمارونه ، أى أفتخمدونه « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى »[2] أى رأى جبريل مرةً أخرى ، وقيل : رأى ربه مرةً أخرى ، وكان المصطفى حينئذ « عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى »[3] وسدرة المنتهى : شجرة مضى تفسيرها ، وسُميت سدرة المنتهى : لأنه ينتهى إليها ما يعرج إلى السماء ، وقيل : ينتهى إليها أرواح الشهداء ، وقيل : ينتهى إليها مقام الملائكة ، وقيل : ينتهى إليها علوم الخلق ، وقيل : لم يجاوزها أحد من الأنبياء ، وجاء فى الروايات : أن الورقة منها تستر جميع العالم ، ولو أن ورقة منها وُضعت فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض ، وأن تلك الشجرة تحمل الحلى والحلل وفنون النبات والثمار . وقوله : « عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى »[4] يعنى يأوى إليها أرواح الشهداء ، « إذ يغشى السدرة ما يغشى » مضى تفسيره . قوله : « مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى »[5] أى ما التفت محمّد يميناً ولا شمالاً ، وقيل : ما جاوز حد

---

(١) سورة ٤٣ : ١٢ .

(٢) سورة ٥٣ : ١٣ .

(٣) سورة ٦٣ : ١٤ .

(٤) سورة ٥٣ : ١٥ .

(٥) سورة ٥٣ : ١٦ .

ما أُبيح له وأُذن فيه من النظر « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى »(١) قيل : أراد به الآية الكبرى ، فحذف الآية ، وقيل : أراد به الكبير فحذف لأجل رؤوس الآى . فهذا طرف من الكلام فى هذه الآيات من سورة النجم وذكرناها لتعلقها بالمعراج وبها ينتهى الكلام فى المعراج . وبالله التوفيق .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

(١) سورة ٥٣ ، ١٧ .

الملحق رقم ١

الأحاديث فى المعراج

ذكر المحدثون فى وقوع الإسراء والمعراج من الروايات الصحيحة مايفيد القطع بذلك كما دل عليه القرآن الكريم ، ولهم فى تفصيل ذلك وشرح ماوقع منه روايات متكثرة بعضها صحيح وبعضها ضعيف يحتمل ذكره فى باب المناقب وبعضه من قبيل الواهيات والموضوعات .

فذكر كثيرا من الصحيح منها : القاضى عياض فى « الشفاء » وابن كثير فى تفسيره ونقد كثيرا مما فيه غرابة أو نكارة ، وكذلك : جود الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » تنسيقها ونقدها ونص على المقبول منها والمردود ، وكذلك القسطلانى فى « المواهب اللدنية » والزرقانى فى شرح المواهب ، وبسط الأخبار فيها الجلال السيوطى فى « الخصائص الكبرى » وفى جزئه فى ذلك « الآية الكبرى فى شرح قصة الإسرا » ، وفى تفسيره « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » فى سورة « الإسراء » وفى سورة « النجم » .

وكذلك أصحاب السير : مثل سيرة ابن هشام وشرحها للسهيلى « الروض الأنف » ، وسيرة الحافظ الشامى الصالحى « سبل الهدى والرشاد » وفى « الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة » .

وذكر ذلك أيضاً فى كتب الخصائص النبوية مثل : « شفاء الصدور » لأبى الربيع سليمان بن سبع السبتى ، وخصائص ابن دحية الكلبى ، وسراج الدين بن اللقن ، والقطب الخيضرى ، وابن حجر العسقلانى وغيرها .

وأفرد قصة الإسراء جماعة من المتأخرين كالنجم الغيطى أبى المواهب محمد بن أحمد السكندرى ، وزين العابدين البرزنجى وشرحها جعفر بن إسماعيل البرزنجى وغيرهم. وقد نخل الروايات التى وردت فى كتب أهل السنة جهابذة

المحدثين وشرحوا حال الروايات ونقدوا مالا يقبل منها : وكثير من ذلك فى كتب الموضوعات والواهيات مما ورد من طرق مردودة :

مثل: ماورد فى سيرة ابن إسحق ومغازيه من حديث أم هانئ من طريق الكلبى ؛ وماأخرجه ابن النجار عن أنس ، وفيه قوله عليه السلام « اجعل حساب أمتى على يدى » . وماأخرجه ابن حبان وابن مردويه عن ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه ، وفيه : ذكر « الديك ، وأصناف من الملائكة على صفات غريبة » . ومثله فى ذلك ماورد عن على بن أبى طالب ، وفيه وصف البراق وهيئته ، وذكر كثيرا من هيئات بعض الملائكة وذكر من ذلك السيوطى فى « الحبائك بأخبار الملائك » . ومن ذلك ما أخرجه الطبرانى وابن حبان عن عائشة من طريق الحرانى ، وأخرجه الخطيب من طريق محمد بن خليل ، وفيه « أنه عليه السلام تناول ثمرة من الجنة ليلة معراجه فأكلها فتكونت منها فيه نطفة فاطمة » . وكذلك ماورد فى الحجب وعددها وكثرتها مما أخرجه ابن مسبع . كما نبهنا على كثير من ذلك مما ذكر فى معراج القشيرى .

وأكثر مايذكر فى قصة المعراج من المتأخرين قد جمع الموضوع والضعيف وفى بعض الروايات تلفيق من روايات متعددة سيقت بسند واحد عن راو واحد وحدث فيها اختلاط ، وفى بعضها إدراج من الراوى .

وبعض مايذكر فى ذلك من بعض الصوفية إنما يذكر على لسان الحال لاالوقوع ليقرب ذلك للوجدان ماقد كان ، ويوضح مالمنصب النبوة من رفعة الشأن .

والحمد لله أصبحت الروايات بعد فحص العلماء صافية المورد نقية المنهل لمن تأهل ، وفيها ماتثبت به الخصائص الرفيعة ، لصاحب الشريعة ، صلى الله عليه وسلم .

جمادى الآخرة من سنة ١٣٨٤ هـ

الملحق رقم ٢

الباب التاسع (١)

في رؤيا أبي يزيد : في القصد إلى الله تعالى وبيان قصته .

قال أبو القاسم العارف ، رضي الله عنه : اعلموا معاشر القاصدين إلى الله سبحانه وتعالى أن لأبي يزيد حالات ومقامات لا تحتملها قلوب أهل الغفلة وعامة الناس ، وله مع الله أسرار لو اطلع عليها ، أهل الغرة لبهتوا فيها ، وإني نظرت في كتاب فيه مناقب أبي يزيد ، فإذا فيه أشياء من حالاته وأوقاته وكلامه ، ما كلت الألسن عن نعته وصفته ، فكل من أراد أن يعرف كماله ومنزلته فلينظر إلى نومه ورؤياه التي هي أصح في المعنى ، وأقرب إلى التحقيق من يقظة غيره ، فهذا ما حكى : أن خادم أبي يزيد رضي الله عنه قال : سمعت أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول : إني رأيت في المنام ، كأني عرجت إلى السموات قاصداً إلى الله ، طالبا لمواصلة الله سبحانه وتعالى ، على أن أقيم معه إلى الأبد ، فامتحنت بامتحان لاتقوم له السموات والأرض ومن فيهما ؛ لأنه بسط لي بساط العطايا نوعا بعد نوع ، وعرض علي ملك كل سماء ، ففي ذلك كنت أغض بصري عنها ؛ لما علمت أنه بها يجربني ، فكنت لاألتفت إليها إجلالا لحرمة ربي ، وكنت أقول في كل ذلك : ياعزيزي ، مرادي غير ما تعرض علي . قال : فقلت له : رحمك الله صف لي مما عرض عليك من ملك كل سماء .

---

(١) من مخطوطة في لكنو حيدر آباد بعنوان « القصد إلى الله » نسبت خطأ للجنيد وهي لأبي القاسم العارف . وقد نشرها في مقال له الأستاذ نيكلسون في مجلة Islamic المجلد الثاني ص ٤٠٣ .

قال : رأيت فى المنام كأنى عرجت إلى السموات ، فلما أتيت إلى السماء الدنيا فإذا أنا بطير أخضر ، فنشر جناحا من أجنحته ، فحملنى عليه وطار بى حتى انتهى بى انتهائى إلى صفوف الملائكة ، وهم قيام متحرقة أقدامهم فى النجوم يسبحون الله بكرة وعشيا ، فسلمت عليهم ، فردوا على السلام ؛ فوضعنى الطير بينهم ثم مضى : فلم أزل أسبح الله تعالى بينهم ، وأحمد الله تعالى بلسانهم ، وهم يقولون : هذا آدمى لا نورى ، إذ لجا إلينا وتكلم معنا . قال : فألهمت كلمات ، وقلت : باسم الله القادر على أن يغنينى عنكم ، ثم لم يزل يعرض على من الملك ما كلت الألسن عن نعته وصفته ، فعلمت أنه بها يجربنى ، ففى ذلك كنت أقول : مرادى غير ما تعرض على ، فلم ألتفت إليها إجلالا لحرمته ، ثم رأيت : كأنى عرجت إلى السماء الثانية فإذا جاءنى فوج فوج من الملائكة ، ينظرون إلى كما ينظر أهل المدينة إلى أمير يدخلها ، ثم جاءنى رأس الملائكة اسمه لاويذ ، وقال : يا أبا يزيد : إن ربك يقرئك السلام ، ويقول : أحببتنى فأحببتك . فانتهى بى إلى روضة خضرة فيها نهر ، يجرى حولها ملائكة طيارة ، يطيرون كل يوم إلى الأرض مائة ألف مرة ، ينظرون إلى أولياء الله ، وجوههم كضياء الشمس ، وقد عرفونى معرفة الأرض ؛ أى فى الأرض ، فجاؤنى وحيونى ، وأنزلونى على شط ذلك النهر ، وإذا على حافتيه أشجار من نور ، ولها أغصان كثيرة متدلية فى الهواء ، وإذا على كل غصن منها وكر طير ؛ أى من الملائكة ، وإذا فى كل وكر ملك ساجد ، ففى كل ذلك أقول : يا عزيزى مرادى غير ما تعرض على ، كن لى يا عزيزى جارا من جميع المستجيرين ، وجليسا من المجالسين ، ثم هاج من سرى شىء من عطش نار الاشتياق ، حتى إن الملائكة مع هذه الأشجار صارت كالبعوضة فى جنب همتى ، وكلهم ينظرون إلى متعجبين مدهوشين من عظم ما يرون منى .

ثم لم يزل يعرض على من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففى كل ذلك علمت أنه بها يجربنى ، فلم ألتفت إليه إجلالا لحرمة ربى ، وكنت أقول : يا عزيزى مرادى غير ما تعرض على ، فلما علم الله تعالى منى صدق الإرادة فى القصد إليه ، وتجريدى عمن سواه ، فإذا أنا بملك قد مد يده فجذبنى ، ثم رأيت كأنى عرجت إلى السماء الثالثة ، فإذا جميع ملائكة الله تعالى بصفاتهم ونعوتهم قد جاءونى ويسلمون على ، فإذا ملك منهم له أربعة أوجه : وجه يلى السماء ، وهو يبكى لا تسكن دموعه أصلا ، ووجه يلى الأرض ينادى : يا عبادالله اعلموا يوم الفراغ[1] يوم الأخذ والحساب ، ووجه يلى يمينه إلى الملائكة يسبح بلسانه ووجه يلى يساره يبعث جنوده فى أقطار السموات يسبحون الله تعالى فيها ، فسلمت عليه ، فرد على السلام ثم قال : من أنت ؟ إذ فضلت علينا ، فقلت عبد قد من الله تعالى عليه من فضله ، قال : تريد أن تنظر إلى عجائب الله ؟ قلت : بلى ، فنشر جناحا من أجنحته ، فإذا على كل ريشة من ريشه قنديل أظلم ضياء الشمس من ضوئها ، ثم قال : تعال يا أبا يزيد ، واستظل فى ظل جناحي ، حتى تسبح الله تعالى وتهلله إلى الموت ، فقلت له : الله قادر على أن يغنيني عنك ، ثم هاج من سرى نور من ضياء معرفتى أظلم ضوؤها : أى ضوء القناديل من ضوئى ، فصار الملك كالبعوضة فى جنب كمالى ، ثم لم يزل يعرض على من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففى ذلك علمت أنه بها يجربنى ، فلم ألتفت إلى ذلك إجلالا لحرمته ، وكنت أقول فى كل ذلك : يا عزيزى مرادى غير ما تعرض على ، فلما علم الله تعالى منى صدق الإرادة فى القصد إليه ، فإذا أنا بملك مد يده فرفعنى ، ثم رأيت : كأنى عرجت إلى السماء الرابعة ، فإذا جميع الملائكة بصفاتهم وهيئاتهم ونعوتهم قد جاءونى ويسلمون على ، وينظرون إلى كما ينظر

---

(١) لعلها « الفزع » .

أهل البلد إلى أمير لهم فى وقت الدخول ، يرفعون أصواتهم بالتسبيح والتهليل ، من عظم ما يرون من انقطاعى إليه ، وقلة التفاتى إليهم ، ثم استقبلنى ملك يقال له : نيائيل ، فمد يده وأقعدنى على كرسى له موضوع على شاطىء بحر عجاج ، لا ترى أوائله ولا أواخره ، فألهمت تسبيحه ، وأنطلقت بلسانه ، ولم ألتفت إليه ، ثم لم يزل يعرض على من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففى كل ذلك علمت أنه بها يجربنى ، فلم ألتفت إليه إجلالا لحرمته ، وكنت أقول : يا عزيزى مرادى غير ما تعرض على ، فلما علم الله تعالى منى صدق الانفراد به فى القصد إليه ، فإذا أنا بملك مد يده فرفعنى إليه ، ثم رأيت كأنى عرجت إلى السماء الخامسة ، فإذا أنا بملائكة قيـــام فى السماء ، رؤسهم فى عنان السماء السادسة ، يقطر منهم نور تبرق منه السموات ، فسلموا كلهم على بأنواع اللغات ، فرددت عليهم السلام بكل لغة سلموا على ، فتعجبوا من ذلك ، ثم قالوا : يا أبا يزيد : تعال حتى تسبح الله تعالى وتهلله ونعينك على ما تريد ، فلم ألتفت إليهم من إجلال ربى ، فعند ذلك هاج من سرى عيون من الشوق ، فصار نور الملائكة فيما التمع منى كسراج يوضع فى الشمس ، ثم لم يزل يعرض على من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففى كل ذلك علمت أنه بها يجربنى ، وكنت أقول : يا عزيزى مرادى غير ما تعرض على ، فلما علم الله تعالى منى صدق الإرادة فى القصد إليه فإذا أنا بملك مد يده فرفعنى إليه ، ثم رأيت كأنى عرجت إلى السماء السادسة ، فإذا أنا بالملائكة المشتاقين جاءونى يسلمون على ويفتخرون بشوقهم على ، فافتخرت عليهم بشىء من طيران سرى ، ثم لم يزل يعرض على من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففى كل ذلك علمت أنه بها يجربنى ، فلم ألتفت إليه ، وكنت أقول : يا عزيزى : مرادى فى غير ما تعرض على ، فلما علم الله تعالى منى صدق الإرادة فى القصد إليه ، فإذا أنا بملك مد يده فرفعنى ، ثم رأيت كأنى عرجت إلى السماء السابعة ، فإذا بمائة ألف صف من الملائكة

استقبلنى ، كل صف مثل الثقلين ألف ألف مرة ، مع كل ملك لواء من نور ، تحت كل لواء ألف ألف ملك ، طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام ، وكان على مقدمتهم ملك اسمه ريائيل ، فسلموا على بلسانهم ولغتهم ، فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك ، فإذا مناد ينادى : يا أبا يزيد : قف قف . فإنك قد وصلت إلى المنتهى ، فلم ألتفت إلى قوله ثم لم يزل يعرض على من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففى كل ذلك علمت أنه بها يجربنى ، وكنت أقول : ياعزيزى مرادى غير ما تعرض على ، فلما علم الله تعالى صدق الإرادة فى القصد إليه صيرنى طيرا ، كان كل ريشة من جناحى أبعد من المشرق إلى المغرب ألف ألف مرة ، فلم أزل أطير فى الملكوت ، وأجول فى الجبروت ، وأقطع مملكة بعد مملكة ، وحجبا بعد حجب ، وميدانا بعد ميدان ، وبحارا بعد بحار ، وأستارا بعد أستار ، حتى إذا أنا بملك الكرسى استقبلنى ، ومعه عمود من نور ، فسلم على ، ثم قال : خذ العمود ، فأخذته فإذا السموات بكل مافيها قد استظل بظل معرفتى ، واستضاء بضياء شوقى ، والملائكة كلهم صارت كالبعوضة عند كمال همتى فى القصد إليه ، ففى كل ذلك علمت أنه بها يجربنى ، فلم ألتفت إليها إجلالا لحرمة ربى الله تعالى .

ثم لم أزل أطير وأجول مملكة بعد مملكة ، وحجبا بعد حجب ، وميدانا بعد ميدان ، وبحارا بعد بحار ، وأستارا بعد أستار ، حتى انتهيت إلى الكرسى فإذا قد استقبلنى ملائكة لهم عيون بعدد نجوم السموات ، يبرق من كل عين نور تلمع منه ، فتصير تلك الأنوار قناديل ، أسمع من جوف كل قنديل تسبيحا وتهليلا ، ثم لم أزل أطير كذلك حتى انتهيت إلى بحر من نور تتلاطم أمواجه ، يظلم فى جنبه ضياء الشمس ، فإذا على البحر سفن من نور ، يظلم فى جنب نورها أنوار تلك الأبحر ، فلم أزل أعبر بحارا بعد بحار ، حتى انتهيت إلى البحر الأعظم الذى عليه عرش الرحمن ، فلم أزل أسبح فيه حتى رأيت ما من العرش إلى الثرى

من الملائكة الكروبيين وحملة العرش وغيرهم ممن خلق الله سبحانه وتعالى فى السموات والأرض . أصغر من حيث طيران سرى فى القصد إليه ، من خردلة بين السماء والأرض ، ثم لم يزل يعرض على من لطائف بره وكمال قدرته وعظم مملكته ما كلت الألسن عن نعته وصفته ، فى كل ذلك كنت أقول : يا عزيزى مرادى فى غير ماتعرض على ، فلم ألتفت إليها إجلالا لحرمته ، فلما علم الله سبحانه وتعالى منى صدق الإرادة فى القصد إليه فنادى : إلى إلى ، وقال : يا صفى أدن منى ، وأشرف على مشرفات بهائى ، وميادين ضيائى ، واجلس على بساط قدسى حتى ترى لطائف صنعى فى آنائى ، أنت صفيي وحبيبى ، وخيرتى من خلقى ، فكنت أذوب عند ذلك كما يذوب الرصاص ، ثم سقانى شربة من عين اللطف بكأس الأنس ، ثم صيرنى إلى حال لم أقدر على وصفه ، ثم قربنى منه ، وقربنى حتى صرت أقرب منه من الروح إلى الجسد ، ثم استقبلنى روح كل نبى ، ويسلمون على ويعظمون أمرى ويكلموننى وأكلمهم ، ثم استقبلنى روح محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم سلم على ، فقال : يا أبا يزيد : مرحبا وأهلا وسهلا ، فقد فضلك الله على كثير من خلقه تفضيلا ، إذا رجعت إلى الأرض أقرىء أمتى منى السلام ، وانصحهم ما استطعت ، وادعهم إلى الله عز وجل ، ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين ، وبقى الحق بلا كون ولا بين ولا أين ، ولا حيث ولا كيف ، جل جلاله وتقدست أسماؤه .

قال أبو القاسم العارف رضى الله تعالى عنه : معاشر إخوانى : عرضت هذه الرؤيا على أجلاء أهل المعرفة ، فكلهم يصدقونها ولا ينكرونها ، بل يستقبلونها عند مراتب أهل الانفراد فى القصد إليه ، ثم يحتجون بقول النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن العبد لا يزال من الله والله منه ما لم يجزع فإذا جزع وجب عليه العتاب والحساب » ، وروى أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم «إن من العلم كهيئة المخزون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله ولا ينكره إلا أهل الغرة بالله » ،

ولولا كراهة التطويل لذكرنا احتجاجهم على صحتها من الأخبار الصحيحة ، والحكايات المشهورة المعروفة ، ولكن معرفتى بأن كل من جهل مراتب الأصفياء وأهل المعرفة فلا يعرف قدرهم وشرفهم ، ولا يغنى عنه كثرة الدلائل والبيان ، ولا تنفعه كثرة الحجج والبراهين ، كما قال الله تعالى « وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » وقوله تعالى « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق » وقوله تعالى « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون » وقوله تعالى « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » والله أعلم بالصواب .

{ تم }

الفهرس

ص   الموضوع